سامي محمد هشام حريز

نظرات من الإعجاز البياني في القرآن الكريم

نظريا وتطبيقيا



نظرات من الإعجاز البياني في القرآن الكريم

- نظرياً وتطبيقياً -

نظرات من الإعجاز البياني
في القرآن الكريم
- نظرياً وتطبيقياً -

تأليف

سامي محمد هشام حريز
ماجستير أصول دين/التفسير وعلوم القرآن
-الجامعة الأردنية-

الشروق
2006

رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً

رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً

رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(2005/9/2326)

225.3

حريز، سامي "محمد هشام"
نظرات من الاعجاز البياني في القرآن الكريم: نظرياً وتطبيقاً/
سامي "محمد هشام" حريز.- عمان: دار الشروق، 2005
( ) ص
ر. إ. : 2005/9/2326
الواصفات: إعجاز القرآن// الاعجاز// القرآن/

• تم إعداد بيانات الفهرسة الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

ISBN 9957 - 00 - 235-x (ردمك)

(رقم الإجازة المتسلسل) 2005/9/2305

- نظرات من الإعجاز البياني في القرآن الكريم - نظرياً وتطبيقياً- .
- سامي محمدهشام حريز .
- الطبعة العربية الأولى : الإصدار الأول 2006 .

دار الشروق للنشر والتوزيع
هاتف : 4618190 / 4618191 / 4624321 فاكس : 4610065
ص.ب : 926463 الرمز البريدي : 11110 عمان - الاردن

دار الشروق للنشر والتوزيع
رام الله: المنارة - شارع المنارة - مركز عقل التجاري هاتف 02/2961614
غزة: الرمال الجنوبي قرب جامعة الأزهر هاتف 07/2847003

■ الاخراج الداخلي وتصميم الغلاف وفرز الألوان و الأفلام :
دائرة الإنتاج / دار الشروق للنشر والتوزيع
هاتف : 4618190/1 فاكس 4610065 / ص.ب. 926463 عمان (11110) الأردن

Email : shorokjo@nol.com.jo

الإهداء

إلى من مدَّ يده لي عندما وقعت على الأرض ..

وإلى من أضاء لي شمعة عندما احتواني الظلام ..

وإلى من قال لي كلمة حلوة ومطارق الحياة تنهال على رأسي ..

وإلى من أعطاني ابتسامة عطف والدنيا تكشر عن أنيابها في وجهي..

وإلى من علّمني أبجدية الحوار مع ذاتي ومع الآخرين ..

وإلى من حاورني بصدق وحب ..

وإلى الذي أعطى وما زال يزيد من عطائه بعلمه وفكره وتوجيهه وخلقه الكريم ..

إلى أبي هشام

أطال الله في عمرك أيها الغالي

وجزاك الله عني كل خير ..

إليكم يا أبي العزيز أُهدي أول مؤلفاتي .

سامي

المحتويات

الفصل الأول

الدراسات النظرية

الفصل الثاني

الدراسات التطبيقية

مقدمة

الحمد لله الذي شرَّف وكرَّم هذه الأمة بإنزال القرآن عليها، هدى ونوراً ورحمة للبشر أجمعين. والصلاة والسلام على أفصح الناس منطقاً، وأشرفهم لساناً، وأثبتهم جناناً، سيدنا وحبيبنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين وسلّم تسليماً مزيداً .....

أمّا بعد :

فجميعنا يعلم بأن القرآن الكريم هو معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم الخالدة، وأنه كتاب الهداية والنور للبشر أجمعين، فهو بذلك كنز المعارف ونور العقول .. ولكل سورة منه روحها الجاذب ووقعها المؤثر، مما يجذب العقل، ويستولي على القلب ويأسر المشاعر... ولذلك فعلى الدعاة أن يستمدون من نبعه الهدايات ويقتبسون من نوره مشاعل الحضارات .

ومهما قرأنا وكتبنا عن إعجاز القرآن فسوف يظل في النفس إحساس ينطلق بسر لم تكشف عنه كل هذه القراءات والكتابات !! وإن السر في إعجاز القرآن: هو في عجزنا أن ندرك ذلك السر .

فسبحان منزل القرآن! ... ولذلك فإن موضوع " إعجاز القرآن " هو من أعظم الموضوعات القرآنية التي سطّرها العلماء وطلبة العلم .

وعلى هذا الأساس حريٌّ بطالب العلم أن يشغل وقته وتفكيره في الكتابة والتبحر في القرآن الكريم وأوجه إعجازه، فله بذلك الخير والثواب الجزيل.

وإن أعظم موضوعات إعجاز القرآن وأكثرها أهمية وأعظمها شأناً الحديث عن: الإعجاز البياني في القرآن الكريم.

ومن هذا الباب أحببت أن أمسك بقلمي وأدوّن كتاباً خاصاً لهذا الوجه من وجوه الإعجاز القرآني، فجاءت هذه الدراسة ووسمتها بعنوان : (نظرات من الإعجاز البياني في القرآن الكريم - نظرياً وتطبيقياً-).

والذي دعاني لهذه الدراسة عدة أمور أهمها:-

أولاً: لمكانة هذا الموضوع وأهمية أثره، لأنه يتعلق بالمصدر الرباني الأول، فهو بحث قرآني.

ثانياً: لخدمة الطلاب والأساتذة عموماً وطلاب وأساتذة العلم الشرعي خصوصاً. وقد ألحّ عليّ الكثير من الأصدقاء طلاباً وأساتذةً من أجل أن أكتب في هذا الموضوع.

ثالثاً: لأنه - على حدود اطلاعي - لم أجد دراسة وافية في الإعجاز البياني تحديداً تتناول الجانب النظري وتقوم بإنزاله عملياً وتطبيقياً، وهذا ما قمت به في هذا الكتاب بفضل الله ومنه.

فبالنسبة للدراسات السابقة التي تطرقت لموضوع (الإعجاز البياني) -على حدود اطلاعي- غالبيتها كانت دراسات عن الإعجاز القرآني عموماً وفي ثناياها يذكر المؤلف أو الباحث شيئاً عن الإعجاز البياني، ويقتصر هذا أيضاً على الجانب النظري.

أما ما يميز هذه الدراسة عن باقي الدراسات - بوجهة نظري - هو أنني أتناول موضوع الإعجاز البياني نظرياً وأُبين موقعه بدقّة من بين وجوه الإعجاز القرآني إجمالاً، ثم أقوم بدراسة بيانية تطبيقية لثلاثة نماذج بناءً على ما أسجله من معلومات نظرية، محللاً وناقداً على أصول البحث العلمي، فما يهمني هنا: هو معنى الإعجاز المثبت في الذهن والقيد، وإثباته تطبيقياً.

ولهذا فإن طبيعة الكتابة في هذا الموضوع تقتضي تقسيمه إلى جانبين:-

1- الجانب النظري: الذي يتم فيه جمع المادة العلمية واستقراءها .

2- الجانب التطبيقي: الذي يتم فيه تطبيق المادة العلمية على النماذج المقصود دراستها .

وقد قمت بتقسيم هذا الكتاب إلى فصلين بعد كتابة تمهيد يتضمن مدخلاً لموضوع الإعجاز البياني، والفصلين هما :

الفصل الأول : أتناول فيه الدراسات النظرية، وقسمتها إلى ستة مباحث، وهي على النحو التالي :-

المبحث الأول: الإعجاز: معناه، ودلالته، ومسيرته التاريخية .

المبحث الثاني : الآيات التي وقع فيها التحدي: دلالاتها، والموضوع الذي ركزت عليه، وعناصره.

والمبحث الثالث : وجوه إعجاز القرآن: جملتها، وكيفية الوقوف عليها، والرأي الشخصي للمؤلف .

والمبحث الرابع : أبرز ما كتبه الكاتبون في الإعجاز البياني القرآني

والمبحث الخامس: مظاهر إعجاز النظم في القرآن الكريم.

والمبحث السادس: من روائع التشبيه والاستعارة والكناية في القرآن الكريم.

أما الفصل الثاني: فأتناول فيه الدراسات التطبيقية، وهي عبارة عن ثلاثة بحوث كنماذج تطبيقية للإعجاز البياني في القرآن الكريم، وهي على النحو التالي :-

النموذج الأول: التعريف والتنكير في البيان القرآني .

والنموذج الثاني : سورة العصر ((دراسة بيانية)).

والنموذج الثالث : سورة الكوثر ((دراسة لغوية وبيانية)).

وفي بداية كل بحث من هذه البحوث سجلت مدخلاً تمهيدياً أذكر فيه سبب اختيار هذا النموذج ومدى الأهمية التي تكمن في دراسته التطبيقية .

وفي نهاية المطاف: أسجل خاتمة الكتاب التي أذكر فيها أهم النتائج التي تمّ التوصل إليها، ومجموعة من التوصيات ووجهات النظر. ثم يليها قائمة المراجع.

وسيتم - بإذن الله تعالى- عَزْوُ جميع ما يكتب إلى مصدره الأصلي.

ومن أجل أن لا يخرج هذا الكتاب بحجم كبير وكم هائل من المعلومات والتطبيقات قمت باختصار العبارة مع الوفاء بالمعنى -قدر الإمكان وحسب الطاقة البشرية المحدودة-. وهذا أخذ جهداً وعناءً ووقتاً كبيراً .

أتمنى أن أكون قد أصبت الهدف المطلوب ونلت الغاية المرجوة من تأليف هذا الكتاب.

أسأل الله تعالى التوفيق والسداد لي والنفع والفائدة للقارىء الكريم.

المؤلف

سامي حريز

2005/1/12م

تمهيد

مدخل لموضوع الإعجاز البياني :

قضية الإعجاز البياني بدأت تفرض وجودها على العرب من أول المبعث، فمنذ تلا المصطفى عليه الصلاة والسلام في قومه ما تلقى من كلمات ربه، أدركت قريش ما لهذا البيان القرآني من إعجاز لا يملك أي عربي يجد حس لغته وذوقها الأصيل، سليقة وطبعاً، إلا أن يسلم بأنه ليس من قول البشر.

من هنا كان حرص طواغيت الوثنية من قريش، على أن يحولوا بين العرب وبين سماع هذا القرآن. فكان إذا أهلّ الموسم وآن وفود العرب للحج، ترصّدوا لها عند مداخل مكة، واخذوا بسبل الناس لا يمر بهم أحد إلا حذروه من الإصغاء إلى ما جاء به محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم من كلام قالوا انه السحر يفرق بين المرء وأبيه وأخيه، وبين المرء وزوجه وولده وعشيرته.

وربما وصلت آيات منه إلى سمع أشدهم عداوة للإسلام، فألقى سلاحه مصدقا ومبايعا، عن يقين بأن هذه الكلمات ليست من قول البشر.

ورد في السيرة النبوية الصحيحة أن عمر بن الخطاب خرج ذات مساء يوم متوشحاً سيفه يريد رسول الله ﷺ ورهطاً من أصحابه، في مكان عند الصفا سمع انهم يجتمعون فيه، فلقيه في الطريق من سأله :

- أين تريد يا عمر ؟
- أجاب: أريد محمد هذا الصابىء الذي فرّق أمر قريش وسفّه أحلامها وعاب دينها وسبّ آلهتها، فأقتله.

قال له صاحبه :

- غرّتك نفسك يا عمر! أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمداً ؟ أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم ؟

سأله عمر، وقد رابه ما سمع :

- أي أهل بيتي تعني؟

فأخبره أن صهره وابن عمه "سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل" قد أسلما.

وكذلك أسلمت زوجته، أخت عمر "فاطمة بن الخطاب".

فأخذ عمر طريقه إلى بيت صهره مستثار الغضب، يريد أن يقتله ويقتل زوجته فاطمة. فما كاد يدنو من الباب حتى سمع تلاوة خافتة لآيات من سورة طه، فدخل يلح طلب الصحيفة التي لمح أخته تخفيها عند دخوله ...

وانطلق من فوره إلى البيت الذي اجتمع فيه المصطفى بأصحابه، فبايعه، وأعز الله الإسلام بعمر، وقد كان من اشد قريش عداوة للإسلام وحربا للرسول صلى الله عليه وسلم(1).

وفي حديث بيعة العقبة، أن الرسول صلى الله عليه وسلم ندب صاحبه "مصعب بن عمير" ليذهب مع أصحاب العقبة إلى يثرب، ليقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام. فنزل هناك على "أسعد بن زرارة" الأنصاري الخزرجي.

فحدث أن خرجا يوماً إلى حي بني عبد الأشهل رجاء أن يسلم بعض القوم. فما سمع كبير الحي "سعد بن معاذ"، و"أسيد بن حضير" بقدم مصعب وأسعد، ضاقا بهما وأنكرا موضعهما من الحي، قال سعد بن معاذ لصاحبه أسيد بن حضير: لا أبا لك! انطلق على هذين الرجلين فازجرهما وانههما عن أن يأتيا دارينا. فإنه لولا أن أسعد بن زرارة مني حيث علمت، كفيتك ذلك: هو ابن خالتي ولا أجد عليه مقدماً.

والتقط أسيد بن حضير حربته ومضى إلى صاحبي رسول الله فزجرهما متواعداً:

- ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا إن كانت لكما بنفسيكما حاجة.

قال له مصعب بن عمير:

- أو تجلس فتسمع، فإن رضيت أمراً قبلته، وان كرهته كُفَّ عنك ما تكره؟

فركز أسيد حربته واتكأ عليها يصغي إلى ما يتلو مصعب من القرآن. ثم أعلن إسلامه من فوره، وعاد إلى قومه فعرفوا انه جاء بغير الوجه الذي ذهب به. وما زال أسيد بسعد بن معاذ حتى صحبه إلى ابن خالته اسعد بن زرارة، فبادره سعد سائلاً في غضب وإنكار:

---

(1) لكنهم عادوا فتسللوا في الليلة الثالثة وباتوا يستمعون إلى القرآن.

يا أبا أمامة، لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني. أتغشانا في دارنا بما نكره ؟

ولم يجب أبو أمامة، بل أشار على صاحبه "مصعب" الذي استهل سعد بن معاذ حتى يسمع منه، ثم تلا آيات من معجزة المصطفى، نفذت إلى قلب ابن معاذ فمزقت عنه حجب الغفلة وغشاوة الضلال. وأعلن إسلامه وعاد إلى قومه فسألهم: يا بني عبد الأشهل، كيف تعلمون أمري فيكم ؟

أجابوا جميعاً: سيدنا، وأفضلنا رأياً. وأيمننا فيكم؟

فأجابوا جميعاً : سيدنا، وأفضلنا رأيا، وأيمننا نقيبة.

فعرض عليهم الإسلام فوالله ما أمسى في حي بني عبد الأشهل رجل أو امرأة إلا مسلماً ومسلمة(2).

هل فرض القرآن إعجازه على هؤلاء الذين استنارت بصائرهم فآمنوا بمعجزة المصطفى بمجرد سماعهم آيات منها، دون غيرهم ممن لجوا في العناد والتكذيب؟

إن القرآن لم يفرض إعجازه البياني من أول المبعث، على هؤلاء الذين سبقوا إلى الإيمان به فحسب، بل فرضه كذلك على من ظلوا على سفههم وشركهم، عناداً و تمسكاً بدين الآباء ونضالاً عن أوضاع دينية واقتصادية واجتماعية لم يكونوا يريدون لها أن تتغير.

وفي الخبر الصحيح أن من طواغيت قريش وصناديد الوثنية العتاة من كانوا يتسللون في أوائل عصر المبعث خفية عن قومهم ليسمعوا آيات هذا القرآن دون أن يملكوا إرادتهم.

روى ابن إسحاق في السيرة: أن أبا سفيان بن حرب العبشي، وأبا جهل ابن هشام المخزومي، والأخنس بن شريق الزهري، خرجوا ذات ليلة متفرقين على غير موعد، إلى حيث يستمعون من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ويتلو القرآن في بيته، فأخذ كل رجل منهم مجلسا يستمع فيه، ولا أحد منهم يعلم بمكان صاحبيه، فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فتلاوموا وقال بعضهم لبعض :

---

(2) راجع سيرة ابن هشام.

"لا تعودوا، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئا" ثم انصرفوا.

حتى إذا كانت الليلة التالية، عاد كل منهم إلى مجلسه لا يدري بمكان صاحبيه.

فباتوا يستمعون للمصطفى حتى طلع الفجر فتفرقوا وجمعهم الطريق فتلاوموا، وانصرفوا على ألا يعودوا.

1

الفصل الأول

الدراسات النظرية

- المبحث الأول: الإعجاز: معناه، ودلالته، ومسيرته التاريخية.
- المبحث الثاني: الآيات التي وقع فيها التحدي: دلالاتها، والموضوع الذي ركَزت عليه، وعناصره.
- المبحث الثالث: وجوه إعجاز القرآن: جملتها، وكيفية الوقوف عليها، والرأي الشخصي للمؤلف.
- المبحث الرابع: أبرز ما كتبه الكاتبون في الإعجاز البياني القرآني.
- المبحث الخامس: مظاهر إعجاز النظم في القرآن الكريم.
- المبحث السادس: من روائع التشبيه والاستعارة والكناية في القرآن الكريم.

المبحث الأول

الإعجاز: معناه، ودلالته، ومسيرته التاريخية

المطلب الأول: معنى إعجاز القرآن:

"إعجاز القرآن": مركّب إضافي، مكون من كلمتين "إعجاز" و "القرآن"(1) .

وكلمة "إعجاز: مصدر الفعل الماضي الرباعي. تقول: أَعْجَزَ، يُعْجِزُ، إِعْجَازا. والجذر الثلاثي للكلمة: هو "عَجْزٌ "(2) .

"وَالعَجْز" عند الإمام ابن فارس والراغب الأصفهاني: هو التأخر عن الشيء فهو ضد القدرة والاستطاعة، ويُطلق على كل قصور عن فعل الشيء(3) .

و" الإعجاز" مصدر الفعل الرباعي "أَعْجَزَ " ، وفيه معنى الفوت والسبق، ويطلق على الفائز، السابق لخصمه، الذي جعل خصمه عاجزاً عن إدراكه. ولذلك يقول الخصم المغلوب العاجز: أعجزني فلان إعجازاً. وهذا المعنى الاصطلاحي لمصطلح "الإعجاز" متحقق في مصطلح "إعجاز القرآن".

التقدير في " إعجاز القران": هو أَعْجَزَ القُرآنُ الكَافِرِينَ عن أن يأتوا بمثله، بحيث عجزوا عن ذلك .

والخلاصة في معنى "إعجاز القرآن ": هو عدم قدرة الكافرين على معارضة القرآن، وقصورهم عن الإتيان بمثله، رغم توفر مَلِكَتِهِمْ البيانية ،وقيام الداعي على ذلك، وهو استمرار تحديهم، وتقرير عجزهم عن ذلك(4).

المطلب الثاني: دلالة كون القرآن معجزة بذاته وللنبوة الخالدة :

بداية علينا أن نعلم أن القرآن الكريم المتلو محفوظ مرسوم في المصاحف: هو الذي جاء به النبي ﷺ وأنه هو الذي تلاه على من في عصره ثلاثا وعشرين سنة. والطريق إلى

---

(1) بالنسبة لتعريف "القرآن "فالراجح: هو كتاب الله، المنزل على محمد ﷺ المتعبد بتلاوته.
(2) المعجم الوسيط (585).
(3) ابن فارس: مقاييس اللغة: 738/ وأيضاً الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن. ص547.
(4) د. صلاح الخالدي: إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني. ص-15ص17 (بتصرف). وقد توسع في هذا الموضوع د. فضل عباس وسناء فضل عباس: إعجاز القرآن الكريم ص-10ص28.

معرفة ذلك: هو النقل المتواتر الذي يقع عنده العلم الضروري به.. إلى أن تم نقله إلينا على طول السنين...

ولا يجوز أن يتشكك أحد في أنّ رسول ﷺ أتى بهذا القرآن من عند الله، فهذا أصل.

وإذا ثبت هذا الأصل وجوداً، نتج عنه: أنّ الله تعالى تحدّاهم إلى أن يأتوا بمثله وقرعهم على ترك الإتيان به طول السنين فلم يأتوا بذلك، وقد دلّ على ذلك مواضع كثيرة في القرآن الكريم -سيتم ذكرها بإذن الله تعالى في حينها- فجُعل عجزهم عن الإتيان بمثله دليلا على أنّه منه سبحانه وتعالى ودليلاً على وحدانيته.. وإذا كان كذلك كان ما يتضمنه صدقاً.. وفي هذا أمران: أحدهما: التحدي إليه. والآخر: أنه لم يأتوا له بمثل. والذي يدل على ذلك النقل المتواتر الذي يقع به العلم الضروري، فلا يمكن جمود واحد من هذين الأمرين..(5).

وان من كان متناهيا في معرفة وجوه الخطاب وطرق البلاغة والفنون التي يمكن فيها إظهار الفصاحة فهو متى سمع القرآن عَرَفَ إعجازه.. ومتى عَلِمَ البليغ المتناهي في صنوف البلاغات عجزه عن القرآن عَلِمَ عجزُ غيره، لأنه كهو، فهو يعلم أن حاله وحال غيره في هذا الباب سواء (6).

مما سبق: يتبين لنا حقيقة قطعية، وهي دلالة كون القرآن الكريم معجزة بذاته. والذي يوجب الاهتمام التام بمعرفة إعجاز القرآن: أن نبوة نبينا ﷺ بُنيت على هذه المعجزة، فكان هذا دليلاً قطعياً على أن النبي ﷺ نبياً من عند الله تعالى، أيّده الله تعالى بمعجزة القرآن على مر العصور. وهي معجزة عامة، عمّت الثقلين.

فالنتيجة الحتمية التي تقتضيها المنهجية العلمية مما سبق :

1- القرآن الكريم معجزة على مر العصور، وهو بهذا دليل على مصدره الربّاني.

2- دلت هذه المعجزة على صحة النبوة الشريفة الخالدة.

فغدت معجزة القرآن والنبوة الشريفة وجهين لعملة واحدة وهي " الشريعة الإسلامية" .

---

(5) الإمام محمد بن الطيب الباقلاني: إعجاز القرآن. ص31.
(6) المرجع السابق نفسه: ص 39.

المطلب الثالث/ المسيرة التاريخية لإعجاز القرآن(7):

بداية أود التنويه إلى أن الباحث: (أ. نعيم الحمصي) تابع مسيرة الإعجاز عبر التاريخ الإسلامي، ومشى معها قرنا قرنا، وقدّم خلاصة ذلك في كتابه الذي سماه "فكرة إعجاز القرآن الكريم" منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر مع نقد وتعليق(8).

وكذلك: (أ.د فضل حسن عباس) في كتابه "إعجاز القرآن" عقد الباب الأول من كتابه بعنوان "تاريخ الإعجاز" سجل فيه فصلين، كان الفصل الأول بعنوان "جهود الأقدمين"، والأدوار التي مرّت بها كتب الإعجاز، والفصل الثاني بعنوان "المحدثون والإعجاز".

وفي هذه العجالة اعرض موجزاً مختصراً جداً عن هذه المسيرة التاريخية انتقيتها - بتصرف - من كتاب (أ.د فضل عباس) على النحو التالي :-

أولاً: جهود الأقدمين : كانت كتابتهم في الإعجاز حصيلة جهود متعاونة متعددة، أسهم علماء اللغة والنحو، والبيان والكلام والأصول، وكانت لهم لبنات في بناء صرح الإعجاز الشامخ، ولمحات مفيدة، وشذرات جيدة في إرساء قواعد هذا العلم وتشييد بنيانه، وتوطيد أركانه، ويمكن هنا تقرير أن الكتابة في إعجاز القرآن مرّت بأدوار ثلاثة، وهي كما يلي:-

<u>الدور الأول</u>: دور الإشارات: فمن أقدم الكتب التي الفت عن القرآن الكريم، تلك التي تتحدث عن معاني القرآن، ومن أوائلها كتابان اثنان: أحدهما/ مجاز القرآن لأبي عبيدة، والثاني/ معاني القرآن للفراء.

وكان في هذين الكتابين اشارات ولمحات لم تذكر فيها كلمة الإعجاز، جاء بعدها ظهور هذه الكلمة وإشارات في قضايا الإعجاز.

<u>الدور الثاني</u>: دور الرسائل: فلحسن الحظ وصلت إلينا رسالتان لإمامين متعاصرين من علماء القرن الرابع، أحدهما/ النكت في إعجاز القرآن للإمام الرماني -

---

(7) المنهجية العلمية السديدة تقتضي تقديم ولو شيئاً يسيراً عن المسيرة التاريخية للإعجاز، ولذلك لم أغفل عن هذا الطرح، وقد آثرت الاختصار قدر الاستطاعة، لعدم اتساع المقام.

(8) وعرّفنا (الحمصي) في كتابه بأشهر من تحدثوا عن إعجاز القرآن في كل قرن، وأهم ما قالوه عن الإعجاز ووجوهه، وأهم الكتب التي ألفوها، وخلاصة تلك الكتب. والكتاب متابعة جيدة نافعة. ص37 إلى 156.

من أئمة المعتزلة – والثانية/ بيان إعجاز القرآن للإمام الخطابي – من أئمة اهل السنة –.

وهاتان الرسالتان كانتا الاساس لما كُتب في الإعجاز فيما بعد.

الدور الثالث: دور الكتب :–

1- كتاب إعجاز القرآن للباقلاني.

2- القاضي عبد الجبار الهمذاني، حديثه عن إعجاز القرآن في سفره الضخم "المغني في أبواب التوحيد والعدل".

3- عبد القادر الجرجاني، في "الرسالة الشافية" وكتاب "دلائل الإعجاز" الذي سجّل فيه "نظرية النظم".

4- الإمام محمود بن عمر الزمخشري، طبق نظرية "النظم" للجرجاني تطبيقاً عملياً في تفسيره "الكشاف"(9).

ثانياً: جهود المحدثون :

عَرَض أ.د فضل تحت هذا العنوان تسجيلا عن(10):

1- إعجاز القرآن للرافعي.

2- النبأ العظيم للدكتور محمد عبد الله دراز.

3- إعجاز القرآن عند سيط قطب وكتابة التصوير الفني.

4- إعجاز القرآن للدكتورة عائشة بنت الشاطىء.

5- الشيخ محمد متولي الشعراوي في إعجاز القرآن .

6- موريس بوكاي في كتابه دراسة الكتب المقدسة.

---

(9) أ.د فضل عباس: إعجاز القرآن. ص 37 – ص86 (باختصار شديد).

(10) تحليل أ.د فضل عباس لهذا العرض في كتابه إعجاز القرآن .ص-89ص 156.

المبحث الثاني

الآيات التي وقع فيها التحدي:

دلالاتها، والموضوع الذي ركزت عليه، وعناصره

المطلب الأول : دلالات من آيات التحدي :

■ آيات التحدي وردت في أربع سور، وفيما يلي نقدم هذه الآيات، وهي على النحو التالي :-

1- قوله تعالى ﴿أم يقولون تقوّله بل لا يؤمنون ❖ فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين﴾ سورة طه: (34,33).

2- قوله تعالى ﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ سورة هود: (13).

3- قوله تعالى: ﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين﴾. سورة يونس: (38).

4- قوله تعالى: ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين﴾ سورة البقرة: (23).

■ ثم سدّ الله تعالى على الكفار القول في قوله تعالى: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾ سورة الإسراء: (88).

في السور أربعة ما يلي :

1- شملت آيات التحدي القرآن المكي والمدني، فهي في سور الطور ويونس وهود المكية، وهي في سورة البقرة المدنية.

2- إن آيات التحدي كانت مناسباتها وأسباب نزولها: حملة الكفار والمشركين على القرآن الكريم وتكذيبهم للرسول الله ﷺ.

3- وردت الآيات كلها في سياق واحد، هو النقاش مع الكافرين، في موضوع النبوة والرسالة والقران.

4- كان التحدي في الآيات لإثبات عجز الكفار عن الإتيان بالمطلوب، وإثبات العجز ليس هدفاً بحدٍّ ذاته، وإنما هو وسيلة إلى غاية سامية، وهي إثبات أن القرآن كلام الله، وأن محمداً رسول الله ﷺ وإيمان الكفار بذلك.

5- تقرر آيات التحدي عَجْزَهم عن المعارضة، وتقر لهم هذه النتيجة قبل البدء بالمحاولة، من باب الحرب النفسية التي تشنها الآيات عليهم، لزعزعة ثقتهم بقدراتهم البيانية، وتقرير هزيمتهم في هذا التحدي، فإما أن يُصَدِّقوا بالحقيقة القرآنية، ويوقنوا بعجزهم عن المعارضة، وإما أن لا يصدقوا بها، فعليهم أن يحاولوا الإتيان بالمطلوب، وإن حاولوا ذلك فسوف يعجزون عنه: (فإن لم تفعلوا - ولن تفعلوا - فاتقوا النار)..(11).

أضف إلى ذلك : أن آيات التحدي الأربع كانت تطبيقاً عملياً للخبر الصادق في سورة الاسراء، حيث أخبر الله عن عدم قدرة الإنس والجن على الاتيان بمثل القرآن. ولما تحدى الله الكفار في آيات التحدي وعجزوا عن معارضة القرآن، دلّ ذلك على تحقيق الخبر الصادق في سورة الاسراء.

وأيضاً نلحظ: بأن "القرآن الكريم قد تحدى العرب بما يستدعيه المنطق من التحدي بالأصعب فالأسهل. وقد وقع التحدي إليهم مُبكراً. وظلّ النبي ﷺ بين ظهرانيهم يدعوهم إلى الإسلام ثلاثاً وعشرين سنة، ونزلت آيات التحدي في فواصل زمنية متباعدة؛ وبذلك يكون قد بلغهم التحدي وقد فهموا المقصود منه، لأن النبي ﷺ كان بينهم وكان في استطاعتهم أن يسألوه عما خفي عنهم ثم يتحدوه إن استطاعوا "(12).

المطلب الثاني: الإعجاز البياني هو موضوع التحدي :

نلحظ من خلال - ما سبق - ونستنتج: بأن موضوع التحدي هو البيان القرآني، لأن الذي طُلِبَ من الكفار ان يأتوا بمثله هو البيان القرآني، والمثلية في التحدي هي مثلية بيانية .

فالبحث في الإعجاز: لا بُدَّ أن يكون عن شيء موجود في كل سورة، ونجد الظاهرة العامة هي "البيان "؛ لأنه ينتظم القرآن الكريم كله، سورة على اختلافها طولاً وقصراً.

(11) نعيم الحمصي :فكرة إعجاز القرآن .ص-23ص26.
(12) المرجع السابق نفسه: ص29، ص 30.

والإعجاز البياني يرجع في لبه وجوهره إلى النظم، وهذا النظم ليس خاصاً بالعرب وحدهم، والنظم هو ذلكم الترتيب الذي كان لكلمات القرآن جملها من جهة، واختيار هذه الكلمات من جهة أخرى، ثم ترتيب الجمل والآيات في السورة، وتلك قضية كان يدركها العربي عند نزول القرآن بذوقه وسليقته، أما العرب اليوم فانما يدركونها بالفكرة لا بالفطرة بعد أن تفسر لهم وتبين لهم دقائقها(13).

وقد ذكر الإمام الراغب بأن " الكلمة القرآنية هي اساس النظم، إذ أن مفردات القرآن مختارة منتقاة، فقال رحمه الله: "الكلمة القرانية هي لب كلام العرب وزبدته ،وواسطته، وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم، وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم، وما عداها وعدا الألفاظ المتفرعات عنها والمشتقات منها هو بالاضافة إليها كالقشور والنوى بالإضافة إلى أطايب الثمرة، وكالحثالة والتبن بالإضافة الى لبوب الحنطة(14).

المطلب الثالث: عناصر البيان القرآني المعجز:

بداية: ذكر الإمام أبو سليمان الخطابي عبارة في غاية الروعة والرونق وهي: "وإنما يقوم الكلام بهذه الثلاثة: لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لها ناظم..."(15).

وجاء الأديب المفكر الرائد سيّد قطب وخرج بنتيجة انتهى إليها من بحثه العلمي المنهجي، وسجّل قوله التالي:

وتستمد العبارة دلالتها في العمل الأدبي من :

1- مفردات الدلالات اللغوية للألفاظ.

2- الدلالة المعنوية: الناشئة عن اجتماع الألفاظ وترتيبها في نسق معين.

3- الايقاع الموسيقي: الناشىء من مجموعة ايقاعات الألفاظ، متناغماً بعضها مع بعض.

4- الصور والظلال: التي تشعُّها الألفاظ متناسقة في العبارة .

5- الأسلوب أو طريقة تناول الموضوع والسير فيه: أي التنسيق الذي يسمحُ لكل لفظ بأن يُشعَّ شنّته من الصور ومن الإيقاع، والذي يؤلّف إيقاعاً متناسقاً بين

---

(13) أ.د. فضل عباس: اتقان البرهان في علوم القرآن، ج1، ص113.

(14) الإمام الراغب الأصفهاني: المفردات، ص6.

(15) الإمام أبو سليمان الخطابي: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن .ص27.

الألفاظ، وظلالاً متناسقة من ظلال الألفاظ ... وهذه العناصر المتوازعة في العمل الأدبي: هي نفسها عناصر البلاغة القرآنية، فالتعبير القرآني بليغ، لأنه ينسق بتوازن بين هذه العناصر.

وذكر الدكتور محمد عبد الله دراز "رحمه الله" خصائص للأسلوب القرآني وهي :

1- القصد في اللفظ والوفاء بحق المعنى .

2- خطاب العامة وخطاب الخاصة.

3- إقناع العقل وإمتاع العاطفة .

4- البيان والإجمال(16) .

---

(16) انظر كتاب: د. محمد عبدالله دراز: النبأ العظيم. ص106، ص 112 (باختصار).

المبحث الثالث

وجوه إعجاز القرآن:

جملتها، وكيفية الوقوف عليها، والرأي الشخصي للمؤلف

المطلب الأول: عرض لجملة من وجوه إعجاز القرآن التي تواضع عليها العلماء(17):

(1) الصرفة/ مردود بالإجماع	(2) الإخبار بالغيب	(3) النظم	(4) ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة
(5) نقض العادة	(6) قياسه بكل معجزة	(7) الإخبار بالغيب	(8) الأسلوب والبلاغة.
(9) معجز في كل شيء	(10) معجز لأنه قرآن (كلام الله)	(11) التحدي للكافة	(12) أمّيّة النبي وعجز العرب
(13) الحكمة	(14) كل الوجوه صواب	(15) تأثيره في النفس	(16) الفصاحة في القرآن كله.
(17) قِدَمُ القرآن	(18) احتواءه على العلوم	(19) الإعجاز العلمي	(20) كل ما قيل وما سيقال مما سيكشف عنه
(20) المضمون والشكل	(21) مخاطبة الناس	(22) مماثلة القرآن	(23) الإعجاز لا يقتضي كونه كلام الله
(24) كلام الله كذات الله	(25) الكشف الصوفي (الصبغة الإلهية)	(26) حلاوة التلاوة	(27) كلام الله كذات الله
(28) موسيقى القرآن	(29) الحس الروحي	(30) الإعجاز العددي رقم (19)	(31) التنسيق وقوة الأداء
(32) التصوير والابداع	(33) كمال التشريع (الإعجاز التشريعي)	(34) قوة الطابع الرباني	(35) مخاطبة قوى النفس جميعها

---

(17) رأيت من المناسب في هذه العجالة أن أُدون جدولاً أسجل فيه أبرز أقوال العلماء في وجوه إعجاز القرآن على مر العصور.. وقمت بجمعها من عدة كتب، أبرزها: كتاب الأستاذ نعيم الحمصي: فكرة إعجاز القرآن، والإعجاز للأستاذ الدكتور فضل عباس، والإعجاز لبنت الشاطيء، والإعجاز للرافعي والنبأ العظيم لدراز.

(36) كبرياء الربوبية وجلالها	(37) الروح الانساني السامي	(38) كفاية المعرفة بإعجاز القرآن دون براهين (39) وحدة القرآن الموضوعية في أجزائه ومجموعه مع وحدة الهدف ومع نزوله في فترات متباعدة وترتيبه على صورته التوقيفية معجزة مستقلة.. (وحدة الهدف والموضوع).	(40) منهج متكامل للحياة (41) الإعجاز البلاغي خاص بالناطقين بالعربية وباقي وجوه الإعجاز مشاع بين الأمم

المطلب الثاني: كيفية الوقوف على وجوه الإعجاز القرآني:

نلحظ من خلال الجدول -السابق-: بأن هذه الأوجه متداخلة فيما بينها، وأن منها المردود قولاً واحداً، كالقول بالصرفة(18)، ومنها ما هو مختلف فيه كما يسمى بالإعجاز العددي(19)، ومنها ما هو مقبول كالإعجاز بالغيب(20)، والإعجاز النفسي والروحي (21)، والإعجاز العلمي(22)، والإعجاز التشريعي(23).

---

(18) معناها: صرف الهمم عن المعارضة، أي أن الله صرف العرب عن آن يأتوا بمثل القرآن، وإن كان ذلك مقدوراً لهم، لأنهم كانوا بلغاء بطبيعتهم، فصحاء بسليقتهم.
وأول من ينسب إليه هذا القول هو "النظام"، وكذلك يُنسب للرماني، الذي جعله من وجوه الإعجاز القرآني.
ولا يسع المقام هنا لنقاش هذا القول، ويكفينا رد الإمام الخطابي عليه في ص-21ص23 في كتابه: بيان إعجاز القرآن، ضمن (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن).

(19) الراجح: بأن هذا لا يسمى إعجازاً عددياً، وإنما يسمى "التناسق العددي في البيان القرآني".

(20) وهو يتناول الماضي والحاضر والمستقبل، وفي الحقيقة بأننا لا نجده في كل آيات القرآن، وإنما هو من قبيل الأنباء الصادقة التي تدل على الصدرية الربانية للقرآن وصدق النبوة.

(21) لعلّ أول من نبّه على هذا الوجه في القرآن: هو الإمام الخطابي في ثلاث رسائل ص70. وذكره مع وجوه أخرى أهمها بلاغة القرآن وبيانه.

(22) هناك من غالى في قبول هذا الوجه، ومنهم من رفضه كُلّياً، ومنهم من توسط في قوله فقبله بشرط أن تكون حقائق علمية وليس نظريات، ومن العلماء المعاصرين من يبدل قول "إعجاز علمي" إلى قول "لفتات علمية"، منهم الدكتور صلاح الخالدي في كتابه الثاني في الإعجاز: (إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني).

(23) من العلماء من يجعله إعجازاً ومنهم من يجعله دليلاً على مصدر القرآن الرباني، ويوسمه بقوله التشريعات الحكيمة السامية في القرآن.

وإن كان هناك اختلاف في قولنا فيها بلفظ "الإعجاز "(24).

وممكن أن يقال: بأن وجه الإعجاز: "كل ما قيل وما سيقال مما سيكشف عنه(25).

وترتاح النفس لمقولة: " أن القرآن معجز لأنه كلام الله "(26).

والوجه الذي نجده في كل آيات ومواضع القرآن الكريم، والذي تمّ اتفاق العلماء عليه هو "الإعجاز البياني " الذي يشمل "النظم" و"الأسلوب" و "البلاغة" و "الفصاحة " و"المضمون/ الشكل " وهذا في القرآن كُلِّه.

ولذلك نجد بأن من العلماء من اكتفى بالقول بالإعجاز البياني، ومنهم من أضاف له وجوهاً أخرى تتعلق بمضامين القرآن وموضوعاته وحقائقه(27).

المطلب الثالث: الرأي الشخصي لمفهوم إعجاز القرآن الكريم:

أود في هذه العجالة أن أُسجّل رأيي الشخصي لمفهوم الإعجاز(28)، بداية أود قول جملة وهي:

إنّ السر في إعجاز القرآن الكريم هو في عجزنا عن إدراك هذا السر، فسبحان منزل القرآن. والذي تطمئن له النفس: هو القول بالإعجاز البياني الذي نجده في القرآن الكريم كله، لا فرق في ذلك بين سورة صغيرة وسورة كبيرة، وهذا ما سنجده تطبيقياً - بإذن الله - عند الحديث عن سورتي العصر والكوثر.

وغير هذا الوجه الإعجازي من الوجوه التي اعتبرها العلماء: يمكن جعلها من قبيل الدلالة على المصدر الرباني للقرآن "ما قبل وما سيقال عنه مما يُكتشف".

وأعجبني رأي الأُستاذ نعيم الحمصي في إعجاز القرآن الكريم والذي مفاده: بأن القرآن باغت بميزات أُدْرِكَ جمالها وعُجِزَ عن مثلها، ومن هذه الميزات/ ما يرجع إلى

---

(24) فالاختلاف يظهر من خلال استبدال كلمة "وجه إعجاز" إلى قول " دليل مصدر رباني"، فالوجه الوحيد الذي فيه التحدي هو البيان.

(25) قال بهذا القول الإمام الزركشي في برهانه.

(26) قال بهذا القول الإمام ابن حزم في مُحلاّه ،وهناك من العلماء من يذهب إلى أن هذا الوجه ليس من مقتضيات الإعجاز، بحجّة أن التوراة والإنجيل كلام الله ولا إعجاز فيها، ولا مجال لمناقشة هذا هنا.

(27) ونجد أيضاً من العلماء من اعتبر السُّنّة معجزة كالقرآن فقال بالإعجاز في القرآن والسنة، وهذا في الحقيقة خلط بائن. ولا يفهم أن السنة الصحيحة تقل أهمية عن القرآن، ولكن السنة لم يحدث فيها التحدي.

(28) هذا ما تقتضيه المنهجية العلمية السديدة.

أسلوب القرآن الغريب الذي جاء مخالفاً لأساليب الكلام - عند العرب- وهي المميزات الظاهرة الواضحة، ومنها ما هو داخلي يدرك بالذوق ويصعب بيانه وتعليله، بل قد يكون متعذراً.

وذلك في أنه قد حوى صفات الأدب الخالد ومميزاته، وهذا ما جعل المتأخرين من العرب ومن تعلموا العربية يدركون إعجازه ويتذوقون جماله..

وهذه المميزات جعلت فيه وحدة موضوعية تسعى للمثل الأعلى وتحقيق خير الإنسانية، وأيضاً نجد في داخله التعاليم الرفيعة والقيم الخلقية التي تسعى لتنظيم الكون على بساطتها، وفي هذه البساطة سر من أسرار جمالها.. ولا ننسى أسلوبه العظيم..(29).

فللقرآن الكريم أساليبه الخاصة المختلفة في بيان وإيضاح غرائضه من عبادات وأحكام وتعاليم وهدايات، فأحيانا نجد الترغيب والترهيب، وأسلوب الحكمة، وأساليب متنوعة في الكشف عن أسرار النفس، وكذلك نجد في القرآن الكريم واقعنا كله الذي نعيشه ونحيا معه، وفي جميع فنونه له أسلوبه في طرق الهداية، والهداية هذه للتي هي أقوم. وكذلك نجد أسلوب الإعلام، وكذلك أسلوب مكافحة الجريمة، وأيضا نجد أسلوب معالجة الأمراض الاجتماعية.. الخ.

والقرآن الكريم يبقى له أسلوبه المتفرد في الكشف عن معانية، وهذا الأسلوب يتمثل في الصبغة الذاتية التي يحملها الكلام، فهي صبغة ربانية إلهية.

وهذه الصبغة الإلهية قائمة في كل كلمة من كلمات القرآن الكريم. وكل كلمة أعطاها الله تعالى وجودها الحقيقي الذاتي، وهذا له الوجود الفعّال، وهذا لا يُدرك عند البشر وإنما يرمز له، فالمعاني الإلهية من قدرات غير محسوسة .

وهذه الصبغة الإلهية تشكل الطابع الإعجازي.

---

(29) الأستاذ نعيم الحمصي: فكرة إعجاز القرآن، ص 52 (باختصار).

المبحث الرابع

أبرز ما كتبه الكاتبون في الإعجاز البياني القرآني

المطلب الأول: الإمام عبد القاهر الجرجاني:-

- **((دلائل الإعجاز في علم المعاني)) للإمام عبد القاهر الجرجاني:**

أدار عبد القاهر كتابه على مسألة إعجاز القرآن، وفصّل فيه القول بنظرية "النظم القرآني" وشرحها وناقش فيها، وعَرَضَ الأمثلة والنماذج عليها، وكتاب " دلائل الإعجاز" مرجع لكل الدارسين بعد عبد القاهر لتقرير الإعجاز بنظم القرآن كما أوضحه الجرجاني.

ونادى الجرجاني في كتابه باعتماد قيمة النظم التي تجمع بين اللفظ والمعنى، وتضيف لهما النظم، وتجعل الجميع عناصر أساسية في البلاغة.

يتساءل في كتابه المذكور عن وجه الإعجاز؟ ويورد في ذلك سبعة احتمالات يبطل ستة منها، ويعتمد الاحتمال السابع، ويراد هو الوجه المعتمد في الإعجاز، وهذه الاحتمالات عنده هي كما يلي:-

1- ليس الإعجاز في الكلمات من حيث حروفها: لأنه من المستحيل أن يكون لحروف الكلمتان صفتان: صفة لها وهي خارج القرآن، وهي عادية مقدورٌ عليها، وصفةٌ لها وهي داخل القرآن، تكون فيها معجزة غير مقدور عليها.

2- وليس الإعجاز أيضا في معاني كلمات القرآن التي لها بوضع اللغة: لأنه من المستحيل أن تتجدد لمعاني كلمات القرآن صفات لغوية جديدة معجزة.

3- وليس الإعجاز في تركيب الحركات والسكنات على كلمات القرآن، فلم يكن المطلوب من الكافرين الإتيان بكلمات على وزن كلمات القرآن في حركاتها وسكناتها وتصاريفها.. وقد نُسب لمسيلمة الكذاب انه قال كلاماً على وزن سورة العاديات، وما قال أحد: إنه بهذا الكلام السخيف تمكّن من معارضة القرآن.

4- وليس الإعجاز في المقاطع والفواصل في جُمل القرآن، لأنّ هذا يعتمد على الوزن وحده، وكثيراً ما كان الشعراء يُعارض بعضهم بعضاً في أشعارهم، فيأتون بكلام جديد على نفس البحر والوزن والقافية.

5- وليس الإعجاز في خفة حروف القرآن على اللسان؛ لأن كثيراً من حروف كلمات البشر خفيفة على اللسان. وهناك حروف قرآنية ظاهرة ثقيل على اللسان، مثل حروف كلمة "اثّاقلتم"، وحروف كلمة "أنلزمكموها" .

6- وليس الإعجاز في آيات القرآن التي فيها "استعارة "؛ لأن الآيات التي فيها استعارة معدودة، ومعنى هذا نفي الإعجاز عن الآيات الكثيرة التي ليس فيها استعارة .

وبعد أن أبطل الإمام عبد القاهر أن يكون الإعجاز في أحد الاحتمالات السابقة قرّر: أن الإعجاز إنما هو في نظم القرآن، والنظم هو: حُسْنُ ترتيب الكلمات في الجملة، بحيث تكون كل كلمة في محلها المناسب لها. وهو يقوم على معاني النحو والبلاغة.

النتيجة :

إعجاز القرآن عند عبد القاهر هو في نظمه وتأليفه، والنظم هو توخي معاني النحو وأحكامه بين الجمل والكلمات..

وكل كتاب "دلائل الإعجاز" لتوضيح هذه النظرية.

المطلب الثاني: الاستاذ الدكتور فضل عباس :

ذكر في كتابه: إتقان البرهان في علوم القرآن ما يلي(30):

● الإعجاز البياني :-

إن اعظم وجوه إعجاز القرآن الإعجاز البياني؛ لأنه ينتظم القرآن الكريم كله، سوره على اختلافها طولاً وقصراً. أما الوجوه الأخرى من وجوه الإعجاز فليس الأمر فيها كذلك، فأنباء الغيب مثلاً ليست موجودة في كل آية من القرآن، وكذلك الإعجاز العلمي والتشريعي، ومن هنا كان الإعجاز البياني أهم هذه الوجوه. وأعمها، بل أتمها؛ لأنه عام في القرآن كله لا تخلو منه سورة على قصرها، بل هو في كل آية من الآيات القرآنية .

والإعجاز البياني يرجع في لبه وجوهره إلى النظم، وهذا النظم ليس خاصا بالعرب وحدهم، والنظم هو ذلكم الترتيب الذي كان لكلمات القرآن في جملها من جهة، واختيار هذه الكلمات من جهة أخرى.ثم ترتيب الجمل والآيات في السورة. وتلك قضية كان

(30) الجزء الأول: ص13 إلى ص120.

يدركها العربي عند نزول القرآن بذوقه وسليقته، أما العرب اليوم فإنما يدركونها بالفكرة لا بالفطرة بعد أن تفسر لهم وتبين لهم دقائقها.

والكلمة القرآنية هي أساس النظم، إذ إن مفردات القرآن مختارة ومنتقاة، وهي كما قال الراغب: "هي لب كلام العرب وزبدته وواسطته، وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم، وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم، وما عداها وعدا الألفاظ المتفرعات عنها والمشتقات منها هو بالإضافة إليها كالقشور والنوى بالإضافة إلى أطايب الثمرة, وكالحثالة والتبن بالإضافة إلى لبوب الحنطة.

الكلمة القرآنية مقدرة خير تقدير، معبرة أصح تعبير وأصدقه، فاختيار الكلمة في موضع دون الآخر واختيار الكلمة دون غيرها من إعجاز القرآن, ولذا فإن كتاب الله تعالى لا ترادف في كلماته، فكل كلمة تحمل معنى خاص بها, لا تسد غيرها مسدها.

فمن ذلك كلمتا الحمد والشكر، فقد ذكرت كلمة الحمد في كتاب الله تعالى مرات عديدة فاتحة لسورة عديدة، لكن كلمة الشكر ذكرت أكثر من كلمة الحمد، قال تعالى ﴿فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون﴾(31)، وقال ﴿وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم﴾(32) .

ولقد ذكر بعض المفسرين أن الكلمتين ذواتا معنى واحد، والمحققون ذهبوا غير هذا المذهب. وإذا كان من فرّق بين الحمد والشكر، فإن الحمد يكون باللسان، أما الشكر فلا يختص به اللسان وحده، وإنما يكون بالقلب والجوارح.

وهناك فرق آخر، وهو ان الشكر لا يكون إلا مقابل نعمة، أما الحمد فإنما يكون لأي شيء، ومن أجل هذا اختيرت كلمة (الحمد) في فاتحة الكتاب.

ومن ذلك كلمتا الفعل والعمل، فإن بينهما فروقاً، أما أولاً: فإن لفظ (عمل) يستعمل لما يعتمد زمانه، ولفظة (الفعل) على العكس من ذلك، فهو لما يكون دفعة واحدة. قال تعالى ﴿وعملوا الصالحات﴾ وهذا يكون في فترات طويلة، وقال تعالى ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد﴾(33) . وقد كان هذا دفعة واحدة .

---

(31) البقرة: آية (152).
(32) ابراهيم: آية (7).
(33) الفجر: آية (6).

وأما ثانياً: فإن العمل، كل فعل يكون من الحيوان بقصد, فهو أخص من الفعل؛ لأن الفعل قد ينسب إلى الحيوانات التي يقع منها فعل بغير قصد، وقد ينسب إلى الجمادات، قال تعالى ﴿وعملوا الصالحات﴾ ولا شك أن هذا يكون بقصد من الإنسان، وقال تعالى "قال بل فعله كبيرهم هذا"(34) وفعل الجماد بلا قصد منه .

وإذا كانت هذه مكانة الكلمة القرآنية. فإن الحرف لا يقل عنها إذ أن له نصيبه الأوفى وحظه الأوفر في البيان القرآني وهل الحرف إلا كلمة ؟ أليست الكلمة إلا اسما وفعلا وحرفا؟؟ سواء اكان من حيث حذفه وذكره. أم كان من حيث وضع حرف مكان آخر، ولا بد من الإشارة إلى أن ما ذهب إليه كثير من العلماء من تناوب الحروف بعضها مكان بعض، أمر غير مسلم أو مستساغ في كتاب الله تعالى، فكل حرف له مدلوله الخاص به ففي قوله تعالى ﴿ولأصلبنكم في جذوع النخل﴾(35)، لا يمكن أن يقال أن معنى (في) هنا على.

فإن حروف الجر (في) جيء به قصدا ولا يسد غيره مسده؛ ذلك لأن الحرف يصور لنا ما في نفس فرعون من حقد وغيظ على أولئك السحرة المؤمنين. فهو لا يريد فقط تصليبهم على الجذوع. بل يود أن يدخلهم في جذوع النخل ويحشرهم فيها .

ومن دقة القرآن في استعمال الأحرف قوله تعالى "﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا﴾(36)، وقوله ﴿قل آمنا بالله وما أنزل علينا﴾(37)، فقد عبّر بـ (إلى) حينما كان الخطاب للأمة لأن القرآن إنما أنزل إليهم. وجاءت (على) حينما كان الخطاب للرسول ﷺ؛ لأن القرآن إنما أنزل عليه وحده.

وإذا تجاوزنا الكلمة والحرف القرآني إلى الجملة القرآنية، فإننا نجد أن في هذه الجملة مظاهر من مظاهر الإعجاز، ومن هذه المظاهر الحذف والذكر, فقد نجد جملا ذكرت فيها بعض الكلمات، على حين نجد جملاً أخرى مشابهة لها قد حذفت منها هذه الكلمات، ومنها التقديم والتأخير فقد نجد بعض الجمل قُدّمت فيها بعض الكلمات، ولكن هذه نفسها أُخرت في جمل أخرى .

---

(34) الأنبياء: آية (63).
(35) طه: آية (71).
(36) البقرة: آية (136).
(37) آل عمران: آية (84).

فمن الحذف والذكر قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها﴾(38). مع أن أكثر المنهيات كانت تلي حرف النهي مباشرة ﴿ولا تقتلوا أولادكم﴾(39). ﴿ولا تقربوا الزنا﴾(40). ﴿لا يسخر قوم من قوم﴾(41) ولكن آية النساء جاس نسقها غير هذا كله فلم يقل فيها ﴿لا ترثوا النساء كرها﴾.

وإذا رجعنا إلى الآيات القرآنية، وصنفنا الآيات التي تشبه هذه الآية بعضها إلى بعض مثل قوله تعالى﴿ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا﴾(42)، يظهر لنا أن هذه الكلمة إنما تجيء بجانب الأمور، أو بجانب القضايا التي كان الناس يزاولونها دون أن يروا بها بأساً أو حرجاً، أما غيرها من المنهيات فهي أمور تنفر منها الطباع، أو ينكرها العرف، فالقتل والزنا، وأكل مال اليتيم لا يقرها عقل، ولا يحلها شرع. أما التحكم في النساء ووراثتهن كرها فإنها تختلف عن الأمور السابقة، حيث رأينا أن بعض التشريعات عند الأمم المتمدينة كانت تجيز هذا إلى عهد قريب، وهنا تبرز دقة التعبير في كتاب الله في مخاطبة النفس الإنسانية فالأمور المتفق على تحريمها تلي حرف النهي ﴿لا تقربوا﴾، ﴿لا تأكلوا﴾، ﴿ولا تقتلوا النفس﴾، أما ما يظنه بعض الناس حقاً لا مرية فيه ولا غبار عليه، فإننا نجد القرآن يعبر عنه بأسلوب آخر حيث يلي حرف النهي هذه الجملة ﴿يحل﴾.

ومن التقديم والتأخير "إذ يغشيكم النعاس أمنةً منه "(43). وفي آية أخرى "ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا"(44). فقد قدم النعاس في الآية الأولى على الأمنة. وأخّر في الآية الثانية ويقيناً لا بد من حكمة بيانية لهذا النظم البديع.

فإذا عرفنا أن آية الأنفال كانت في بدر، وأن آية آل عمران في أُحد، وعرفنا أن حاجة المسلمين في بدر كانت إلى الراحة والنوم، لأن الله قد تكلف لهم بالنصر، حيث وعدهم إحدى الطائفتين، أما في أُحد فلقد كانت حاجتهم بعد أن أصابهم ما أصابهم إلى

---

(38)النساء : آية (19).
(39)الإسراء: آية (31).
(40)الإسراء: آية (32).
(41)الحجرات: آية (11).
(42) البقرة: آية (229).
(43) الأنفال: آية (11).
(44) آل عمران: آية (154).

الأمن والطمأنينة؛ إذا عرفنا ذلك أدركنا سر التقديم والتأخير في الآيتين الكريمتين، فقدّم في كل آية ما يتلائم مع ظروف الجماعة المسلمة.

ومن ذلك الجن والإنس، فقد تقدم كلمة الجن تارة، وكلمة الإنس أخرى، وهذا ما يستدعيه السياق، وتوجبه الحكمة الحكمة البيانية، ففي سياق التحدي بالقران الكريم يقدم الإنس على الجن؛ لأن الإنس هم المقصودون بالتحدي أولاً وقبل كل شيء. قال تعالى "قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتون بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا"(45).

أما في سياق التحدي بالنفوذ من أقطار السماوات والأرض، فلقد قدم الجن، لأنهم أقدر على الحركة من الإنس، قال تعالى ﴿يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان﴾(46). أما قوله سبحانه ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾(47)، فلقد قدّم الجن على الإنس، لأنه روعي السبق الزمني، فإن الجن مخلوقون قبل الإنس.

ومن الإعجاز البياني في القرآن الكريم دقة الفاصلة القرآنية، والفاصلة هي ذلك اللفظ الذي ختمت به الآية القرانية، فالفاصلة القرآنية لم تأت لغرض لفظي فحسب، وهو اتفاق رؤوس الآي بعضها مع بعض، وهو ما يعبرون عنه بمراعاة الفاصلة. إنما جاءت الفاصلة في كتاب الله لغرض معنوي يحتمه السياق، وتقتضيه الحكمة، ولا ضير أن يجتمع مع هذا الفرض المعنوي ما يتصل بجمال اللفظ وبديع الإيقاع.

وبعض هذه الفواصل يمكن أن يدركها القاريء بأدنى تأمل فهو لا يحتاج إلى كثير فكر، وكبير عناء، من ذلك قوله تعالى ﴿كُتب عليكم القتال وهو كره لكم، وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم، والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾(48).

فهذه الفاصلة متصلة بما قبلها، ولا يمكن أن تصلح بدلها أي فاصلة.

يخاطب الله المؤمنين، وقد كتب عليهم الجهاد والقتال، ويبين أن أمر المستقبل لا يدركونه هم، فربما يكرهون شيئاً يكون فيه خيرهم، وربما يحبون شيئاً تكون في نهايته

---

(45) الإسراء :آية (88).
(46) الرحمن: آية (33).
(47) الذاريات: آية (56).
(48) البقرة: آية (216).

شراً لهم، ووبالاً عليهم، أن الله وحده هو الذي يعلم ذلك، فأي فاصلة تصلح لهذه الآية غير التي ختمت بها ﴿والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾.

وبعض هذه الفواصل لا يحتاج إلى تدبر وتأمل، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أو لم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إنّ في ذلك لآيات لقوم يسمعون أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرد فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون﴾(49).

فقد ختمت الآية الأولى بـ (يسمعون)، والثانية بـ (يبصرون) فما سر ذلك؟ أن يحتاج الأمر منك إلى كثير تأمل، فقد تحدثت الآية الأولى عن القرون المهلكة من قبل هؤلاء، فهو حديث التاريخ - إذن - وتحدثت الآية الثانية عما يشاهدونه على هذه الأرض، كيف ينزل عليها الماء فتنبت الزرع متاعاً لهم ولأنعامهم، وأمر التاريخ -لا ريب- يسمع سماعاً؛ ولذا ختمت بـ (يسمعون).

ولكن ما يشاهدونه يبصرونه إبصاراً، ولذا ختمت بـ (يبصرون).

المطلب الثالث: الدكتور صلاح الخالدي:

ذكر في كتابه: إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني ما يلي(50):

- **مضامين القرآن ليست موضوع التحدي:**

موضوع التحدي هو البيان القرآني؛ لأن الذي طُلب من الكفار أن يأتوا بمثله هو البيان القرآني، والمثلية في التحدي هي مثلية بيانية...

وهذا معناه أن مضامين القرآن وموضوعاته لم تكن موضوع التحدي، ولم تكن مطلوبة في التحدي، ويترتب على هذا أنها لا ارتباط لها في الإعجاز، أي أنها ليست وجوهاً للإعجاز.

نريد أن يفهم الدارسون والباحثون أنه لا إعجاز إلا بعد العجز، ولا عَجْزَ إلا بعد التحدي والمعاجزة، ولا تحدي إلا بعد دعوى وإنكار وإقامة حجة، ونرى ضرورة العودة لقراءة مبحث المعاجزة والعجز والإعجاز، لعدم نسيان هذه الحقيقة.

---

(49) السجدة: آية (26-27).
(50) ص 110 من كتابه.

لم يطلب الله من الكفار أن يأتوا بعلم كالعلم الذي في القرآن، ولا بغيب كالغيب الذي في القرآن، ولا بتشريع كالذي في القرآن.. وإنما طلب منهم الإتيان ببيان كالبيان الذي في القرآن، ولو كان المعنى مكذوباً مفترى. وهذا صريح في قوله تعالى: ﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات﴾(51).

أي: فأتوا بعشر سور مفتريات في المعنى والمضمون، لكنها مثل القرآن في البيان والبلاغة.

لو كان مناط التحدي هو "الصدق التاريخي" في القصص والأخبار لما قال في الآية "مفتريات" ولو كان مناط التحدي هو "الصدق العلمي أو التشريعي" لما قال في الآية "مفتريات".

لقد أعفى القرآن العرب الكفار- عندما تحداهم - من العلوم والأخبار والغيوب والتشريعات، وطالبهم بالبيان والبلاغة والتعبير!!.

وقال في موضع آخر ما يلي(52) :-

- **لا نتحدى العالم الآن بالعلم القرآني:**

قررنا أن التحدي -كان وما يزال- بالبيان القرآني، ولذلك هو الوجه الوحيد في الإعجاز، فالإعجاز القرآني هو إعجاز بياني؛ لأنه هو موضوع التحدي.

وقررنا نتيجة عن هذه الحقيقة، وهي أن "مضامين" القرآن لم تكن موضوع التحدي، وهي لا تصلح أن تكون وجوهاً للإعجاز، فلا نقول: إعجاز علمي، أو إعجاز غيبي، أو إعجاز تشريعي، أو غير ذلك، ولكن نعتبرها دلائل على أن القرآن كلام الله، وهذا معناه أننا لا نتحدى العالم في العصر الحاضر بمضامين القرآن، بمعنى أننا لا نطالبهم أن يقدموا لنا مضامين كمضامين القرآن، وموضوعات كموضوعاته.

وقد ذهب بعض العلماء إلى أن التحدي في السور المكية كان بالبيان، وكان موجّهاً إلى العرب، وكانت المثلية المطلوبة مثلية بيانية - وهذا صحيح- لكن التحدي في سورة البقرة المدنية للناس جميعاً عرباً وعجماً، وأنه ليس تحدياً بالبيان وحده، وإنما هو تحدٍ عام بكل ما في القرآن، لأنه موجه للناس جميعاً!!

---

(51) هود: الآية (13).
(52) من ص 113 إلى ص 116.

ومعنى كلام هذا الفريق من العلماء المعاصرين أن التحدي الموجّه لغير العرب الآن إنما هو تحد بمضامين القرآن وحقائقه وموضوعاته.

وهذا كلام خطير جداً، وأذقنا به نخشى أن "ننسف" مسألة إعجاز القرآن ونبطلها ونلغيها.. إننا نرى أن القول بها يؤدي إلى "إبطال" إعجاز القرآن، وأن العلماء الذين قالوا بها لم يلحظوا نتائجها الخطيرة، وآثارها المدمّرة للإعجاز! وإنما قالوها بحسن نية وسمو مقصد!!

ولنأخذ مسألة "اللفتات العلمية"في القرآن التي سموها "الإعجاز العلمي" واعتبروها أحد وجوه التحدي للناس.

هل يصلح أن نتحدى العالم الآن باللفتات العلمية في القرآن؟

- **لأننا لا نطلب منهم الإتيان بمثله :**

ما معنى أن نتحدى العالم باللفتات العلمية في القرآن؟

المعنى: هو أن نطلب منهم الإتيان بعلم مثل العلم الذي في القرآن؛ لأن هذا هو معنى التحدي، وهذا هو مفهوم التحدي في القرآن؛ لأن الله في كل آيات التحدي كان يطلب منهم الإتيان بمثل القرآن - كما سبق أن أوضحنا-.

فنحن عندما نتحدى غير العرب الآن بالعلم القرآني، نطلب منهم الإتيان بعلم مثل العلم القرآني.

وعندما نطلب من علماء العالم تقديم ذلك، هل يقدمونه أم يعجزون عنه؟!

إنهم سيقدمونه ولن يعجزوا عنه! .

لأنهم علماء "تجريبيُّون"، وعندهم مختبرات علمية، يُجْرون فيها الكثير من التجارب، وعندهم خبرة علمية، ويملكون خلفية وثقافة علمية، كل هذا يمكنهم من تقديم المطلوب.

وعندما يقدمون المطلوب منهم ولا يعجزون عنه، سينجحون في التحدي، وبهذا لا يكون القرآن معجزاً لهم، وبهذا يبطل إعجاز القرآن!!

بالمثال يتضح المقال.

نقول لعلماء العالم الآن: قال الله في القرآن عن الجنين في بطن أمه: ﴿يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث﴾(53).

---

(53) الزمر: الآية (6).

وعندما نفسر لهم الآية نقول لهم: اخبر الله أن الجنين في رحم أمه يكون في ظلمات ثلاث.

ونقول لهم: هذا إعجاز علمي في القرآن، ومعنى أنه إعجاز علمي: نتحداكم يا علماء الاختصاص في الطب، هاتوا علماً مثل العلم الذي في الآية! أي: هاتوا وأرونا الظلمات الثلاث التي تلف الجنين في بطن أمه؟!!

عندما نتحداهم بذلك، فهل يأتوننا بالمطلوب أم يعجزون عنه؟

إنهم سيأتوننا بالمطلوب، ولن يعجزوا عنه!!

سيقولون: لقد اكتشفنا في علمنا التجريبي هذه الظلمات الثلاث، وعَرَفْناها وصوّرناها داخل الرحم، وهي ثلاثة أغشية تَلُفّ الجنين: الغشاء الأمنيوسي، والغشاء المشيمي، والغشاء الساقط الذي يَسقطُ مع المولود.

وهذا معناه انهم نجحوا في التحدي، وقدّموا المطلوب منهم! وهذا معناه أيضا أن القرآن غير معجز لهم. وهذا إبطالٌ لإعجاز القرآن.

هذا معنى قولنا: لن نتحدى العالم الآن بالعلم القرآني، وإن مضامين القرآن وعلومه ليست موضوع التحدي، لا في الماضي، ولا في الحاضر، ولا في المستقبل.

لأنّ اعتبارها مطلوبة في التحدي يجعلها وجوهاً للإعجاز، وجعلها وجوهاً للإعجاز يجعل علماء العالم الآن قادرين عليها غير عاجزين عنها.

- **نجعله دليلا على مصدر القرآن الرباني:**

الكلام العلمي الموضوعي المنطقي أن نجعل اللفتات العلمية - مثلاً- في القرآن دليلاً على مصدره الرباني.

نقول للعلماء: أخبر الله في القرآن أن الجنين في بطن أمه تلفُّه ثلاث ظلمات، وأنتم أيها العلماء اكتشفتم في هذا الزمان ثلاثة أغشية تلفه.. فمن أدرى محمداً الأمي صلى الله عليه وسلم قبل خمسة عشر قرناً بهذه الأغشية الثلاثة؟!!

نقول لهم: أن الحقيقة العلمية التي قرّرها القرآن قبل خمسة عشر قرناً، والتي صدّقتموها أنتم بتجاربكم وعلومكم، دليل على أن القرآن كلام الله، وأن محمداً هو رسول الله ﷺ، وأنّ الإسلام هو الدين الصحيح، فتفضّلوا وادخلوا في الإسلام.

إذن فرقٌ بعيد بين اعتبار اللفتات العلمية في القرآن إعجازاً علمياً، وبين جعلها دليلاً يقينياً على المصدر الرباني للقرآن !!.

المطلب الرابع: الأستاذ منّاع القطّان:

ذكر في كتابه: مباحث في علوم القرآن ما يلي(54) :-

● القدر المعجز في القرآن:

أ- يذهب المعتزلة إلى أن الإعجاز يتعلق بجميع القرآن لا ببعضه، أو بكل سورة برأسها.

ب- ويذهب البعض إلى ان المعجز منه القليل والكثير دون تقييد بالسورة لقوله تعالى ﴿فليأتوا بحديث مثله﴾(55).

ج- ويذهب آخرون إلى أن الإعجاز يتعلق بسورة تامة ولو قصيرة، أو قدرها من الكلام كآية واحدة أو آيات.

ولقد وقع التحدي بالقرآن كله ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله﴾، وبعشر سور ﴿فأتوا بعشر سور مثله﴾، وبسورة واحدة ﴿فأتوا بسورة مثله﴾، وبحديث مثله ﴿فليأتوا بحديث مثله﴾.

ونحن لا نرى الإعجاز في قدر معين لأننا نجده في أصوات حروفه ووقع كلماته ،كما نجده في الآية والسورة، فالقرآن كلام الله وكفى .

وأياً كان وجه الإعجاز، أو القدر المعجز. فإن الباحث المنصف الذي يطلب الحق إذا نظر في القرآن من أي النواحي أحب من ناحية أسلوبه، أو من ناحية علومه، أو من ناحية الأمر الذي أحدثه في العالم وغيّر به وجه التاريخ، أو من تلك النواحي مجتمعة، وجد الإعجاز واضحا جليا...

● الإعجاز اللغوي:

لقد مارس أهل العربية فنونها منذ نشأت لغتهم حتى شبت وترعرعت، وأصبحت في عنفوان شبابها عملاقا معطاء، واستظهروا شعرها ونثرها. وحكمها وأمثالها، وطاوعهم

---

(54) من ص 264 إلى 269.
(55) الطور: الآية (34).

البيان في أساليب ساحرة، حقيقية ومجازاً، إيجازاً وإطنابا، حديثاً ومقالاً، وكلما ارتفعت اللغة وتسامت، وقفت على أعتاب لغة القرآن في إعجازه اللغوي كسيرة صاغرة، تنحني أمام أسلوبه إجلالاً وخشية، وما عهد تاريخ العربية حقبة من أحقاب التاريخ، ازدهرت فيها اللغة إلا وتطامن أعلامها وأساتذتها أمام البيان القرآني اعترافاً بسموه، وإدراكاً لأسراره، ولا عجب "فتلك سنة الله في آياته التي يصنعها بيديه، لا يزيدك العلم بها والوقوف على أسرارها إلا إذعاناً لعظمتها، وثقة بالعجز عنها، ولا كذلك صناعات الخلق، فإن فضل العلم بها يمكّنك منها ويفتح لك الطريق إلى الزيادة عليها، ومن هنا كان سحرة فرعون هم أول المؤمنين برب موسى وهارون" .

والذين تملكهم الغرور، وأصابتهم لوثة الإعجاب بالنفس، وحاولوا التطاول على أسلوب القرآن، حاكوه بكلام فارغ. أشبه بالسخف والتفاهة والهذيان والعبث، وارتدوا على أعقابهم خاسرين، كالمتنبئين وأشباه المتنبئين، من الدجالين والمغرورين .

وقد شهد التاريخ فرساناً للعربية خاضوا غمارها وأحرزوا قصب السبق فيها، فما استطاع أحد منهم أن تحدثه نفسه بمعارضة القرآن. إلا باء بالخزي والهوان، بل إن التاريخ سجل هذا العجز على اللغة، في أزهى عصورها، وأرقى أدوارها، حين نزل هذا القرآن ،وقد بلغت العربية أشدها، وتوافرت لها عناصر الكمال والتهذيب في المجامع العربية وأسواقها، ووقف القرآن من أصحاب هذه اللغة موقف التحدي. في صور شتى، متنزلا معهم إلى الأخف من عشر سور إلى سورة إلى حديث مثله، فما استطاع أحد أن يباريه أو يجاريه منهم، وهم أهل الأنفة والعزة والإباء، ولو وجدوا قدرة كل محاكاة شيء منه، أو وجدوا ثغرة فيه؛ لما ركبوا المركب الصعب أمام هذا التحدي، بإشهار السيوف، بعد أن عجز البيان، وتحطمت الأقلام.

وتتابعت القرون لدى أهل العربية، وظل الإعجاز القرآني اللغوي راسخاً كالطود الشامخ، تذل أمامه الأعناق خاضعة. لا تفكر في أن تدانيه، فضلا عن أن تساميه، لأنها أشد عجزاً وأقل طمعاً في المطلب العزيز، وسيظل الأمر كذلك إلى يوم الدين.

ولا يستطيع أحد أن يدعي عدم الحاجة إلى معارضة القرآن، وإن كان ذلك ممكناً، فإن التاريخ يشهد بأنه قد توافرت الدواعي الملحة لدى القوم لمعارضة القرآن. حيث وقفوا من الرسالة وصاحبها موقف الجحود والنكران، واستثار القرآن حميتهم. وسفه أحلامهم، وتحداهم تحدياً سافراً يثير حفيظة الجبان الرعديد مع ما كانوا عليه من أنفة وعزة. فسلكوا مع الرسول ﷺ مسالك شتى، ساوموه بالمال والملك ليكف عن دعوته،

وقاطعوه ومن معه حتى يموتوا جوعا، واتهموه بالسحر والجنون، وتآمروا على حبسه، أو قتله أو إخراجه، وقد دلهم على الطريق الوحيد لإسكاته وهو أن يجيئوه بكلام مثل الذي جاءهم به، "ألم يكن ذلك أقرب إليهم وأبقى عليهم لو كان أمره في يدهم ؟ ولكنهم طرقوا الأبواب كلها إلا هذا الباب، وكان القتل والأسر والفقر والذل وكل أولئك أهون عليهم من ركوب هذا الطريق الوعر الذي دلهم عليه، فأي شيء يكون العجز إن لم يكن هذا هو العجز؟"

والقرآن الذي عجز العرب عن معارضته لم يخرج عن سنن كلامهم، ألفاظاً وحروفاً، تركيباً وأسلوباً، ولكنه في اتساق حروفه، وطلاوة عبارته، وحلاوة أسلوبه، وجرس آياته، ومراعاة مقتضيات الحال في ألوان البيان، في الجمل الاسمية والفعلية، وفي النفي والإثبات، وفي الذكر والحذف، وفي التعريف والتنكير، وفي التقديم والتأخير. وفي الحقيقة والمجاز، وفي الإطناب والإيجاز، وفي العموم والخصوص، وفي الإطلاق والتقييد، وفي النص والفحوى .. وهلمّ جرا ولكن القرآن في هذا ونظائره بلغ الذروة التي تعجز أمامها القدرة اللغوية لدى البشر.

عن ابن عباس :" أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ، فقرأ عليه القرآن، فكأنه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه فقال له: يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً ليعطوكه، فإنك أتيت محمداً لتتعرض لما قبله. قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالاً، قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له وكاره، قال: وماذا أقول ؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشّعر منّي لا برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقوله شيئاً من هذا، ووالله إن لقوله الذي يقول لحلاوة، وان عليه لطلاوة، وأنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله, وإنه ليعلو وما يعلى، وإنه ليحطم ما تحته، قال: والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أفكر، فلما فكر قال: هذا سحر يؤثر، يأثره عن غيره، فنزلت ﴿ذرني ومن خلقت وحيدا﴾ (المدثر: آية 11) (56).

وحيثما قلب الإنسان نظره في القرآن وجد أسراراً من الإعجاز اللغوي.

يجد ذلك في نظامه الصوتي البديع بجرس حروفه، حين يسمع حركاتها وسكناتها، ومداتها وغُنّاتها، وفواصلها ومقاطعها، فلا تمل أذنه السماع، بل لا تفتأ تطلب منه المزيد.

---

(56) أخرجه الحاكم وصححه، والبيهقي في الدلائل.

ويجد ذلك أن ألفاظه التي تفي بحق كل معنى في موضعه، لا ينبو منها لفظ يقال إنه زائد، ولا يعثر الباحث على موضع يقول إنه يحتاج إلى إثبات لفظ ناقص.

ويجد ذلك في ضروب الخطاب التي يتقارب فيها أصناف الناس في الفهم بما تطيقه عقولهم، فيراها كل واحد منهم مقدّرة على مقياس عقله ووفق حاجته، من العامة والخاصة، ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾(57).

ويجد ذلك في إقناع العقل وإمتاع العاطفة، بما يفي بحاجة النفس البشرية تفكيراً ووجداناً في تكافؤ واتزان، فلا تطغى قوة التفكير على قوة الوجدان، ولا قوة الوجدان على قوة التفكير.

وهكذا حيثما قلب النظر قامت أمامه حجة القرآن في التحدي والإعجاز.

قال القاضي أبو بكر الباقلاني(58): "والذي يشتمل عليه بديع نظمه المتضمن للإعجاز وجوه: منها ما يرجع إلى الجملة، وذلك أن نظم القرآن على تصرف وجوهه واختلاف مذاهبه خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختص به ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد، وذلك أن الطرق التي يتقيد بها الكلام البديع المنظوم، تنقسم إلى أعاريض الشعر على اختلاف أنواعه، ثم إلى أنواع الكلام الموزون غير المقفى، ثم إلى أصناف الكلام المعدل المسجع، ثم إلى معدل موزون غير مسجع، ثم إلى مرسل إرسالاً فتطلب فيه الإصابة والإفادة وإفهام المعاني المعترضة على وجه بديع، وترتيب لطيف، وإن لم يكن معتدلاً في وزنه، وذلك شبيه بجملة الكلام الذي لا يتعمل، يتصنع له، وقد علمنا أن القرآن خارج عن هذه الوجوه، ومباين لهذه الطرق، فليس من باب السجع، وليس من قبيل الشعر، وتبين بخروجه عن أصناف كلامهم، وأساليب خطابهم أنه خارج عن العادة. وأنه معجز، وهذه خصوصية ترجع إلى جملة القرآن، وتميز حاصل في جميعه...

وليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة والغرابة والتصرف البديع، والمعاني اللطيفة، والفوائد الغزيرة، والحكم الكثيرة، والتناسب في البلاغة، والتشابه في البراعة على هذا الطول، وعلى هذا القدر. وإنما تنسب إلى حكمهم كلمات معدودة، وألفاظ

---

(57) القمر: الآية (17).

(58) هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني صاحب كتاب: "إعجاز القرآن" وكتاب: "التقريب والإرشاد" في اصول الفقه، توفي سنة 403هـ.

قليلة، وإلى شاعرهم قصائد محصورة يقع فيها الاختلال والاختلاف، والتكلف والتعسف، وقد جاء القرآن على كثرته وطوله متناسباً في الفصاحة على ما وصفه الله عز من قائل: ﴿الله نزّل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾(59). ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾(60). فأخبر أن كلام الآدمي إن امتد وقع فيه التفاوت وبان عليه الاختلال.

وعجيب نظم القرآن وبديع تأليفه لا يتفاوت ولا يتباين على ما يتصرف إليه من الوجوه التي يتصرف فيها – من ذكر قصص ومواعظ، واحتجاج وحكم وأحكام، وإعذار وإنذار، ووعد ووعيد، وتبشير وتخويف، وأخلاق كريمة، وشيم رفيعة، وسير مأثورة، وغير ذلك من الوجوه التي يشتمل عليها، ونجد كلام البليغ الكامل، والشاعر المفلق، والخطيب المصقع يختلف على حسب اختلاف هذه الأمور، فمن الشعراء من يجود في المدح دون الهجو، ومنهم من يبرز في الهجو دون المدح، ومنهم من يسبق في التقريط دون التأبين، ومنهم من يقرب في وصف الإبل والخيل، أو سير الليل، أو وصف الحرب، أو وصف الروض، أو وصف الخمر، أو الغزل أو غير ذلك مما يشتمل عليه الشعر ويتداوله الكلام. ولذلك ضرب المثل بامرىء القيس إذا ركب، والنابغة إذا رهب، وبزهير إذا رغب، ومثل ذلك يختلف في الخطب والرسائل وسائر أجناس الكلام.....

وقد تأملنا نظم القرآن فوجدنا جميع ما يتصرف فيه من الوجوه التي قدمنا ذكرها على حد واحد في حسن النظم، وبديع التأليف والوصف، لا تفاوت فيه ولا انحطاط عن المنزلة العليا... فعلمنا بذلك أنه مما لا يقدر عليه البشر...

المطلب الخامس: تلخيص لكتاب: فكرة إعجاز القرآن، للباحث نعيم الحمصي:

تابع الباحث "نعيم الحمصي" مسيرة الإعجاز الإسلامي، ومشى معها قرناً قرناً، وقدّم خلاصة ذلك في كتابه الذي سمّاه: "فكرة إعجاز القرآن الكريم: منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر مع نقد وتعليق".

(59) الزمر: الآية (23).
(60) النساء: الآية (82).

وعرّفنا الحمصي في كتابه بأشهر من تحدّثوا عن إعجاز القرآن في كُلّ قرن، وأهم ما قالوه عن الإعجاز ووجوهه، وأهم الكتب التي ألفوها حوله، وخلاصة تلك الكتب. والكتاب متابعة جيدة نافعة، ينصح بالاستفادة منه(61).

● كتاب نعيم الحمصي " فكرة إعجاز القرآن -منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر- مع نقد وتعليق.

● الآيات القرآنية التي وقع فيها التحدي:

1- قوله تعالى ﴿أم يقولون تقوله بل لايؤمنون، فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين﴾ سورة الطور: (34،33).

2- قوله تعالى ﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ سورة هود: (13).

3- قوله تعالى ﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ سورة يونس: (38).

4- قوله تعالى ﴿وان كنتم في ريب مما نزّلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ سورة البقرة: (23).

● ثم سدّ الله تعالى على الكفار القول في قوله تعالى:

﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾ سورة الإسراء: (88).

▪ وكان لا بدّ للقرآن الكريم من أن يتحدّى منكريه علانية وبقوة ليبين أنه النبي ﷺ إليهم، فآيات التحدي كانت مناسباتها وأسباب نزولها: حملة المشركين على القرآن الكريم وتكذيبهم للرسول ﷺ.

▪ فالقرآن الكريم قد تحدّى العرب بما يستدعيه المنطق من التحدي بالأصغر.

▪ وقد وقع التحدي إليهم مبكراً. وظلّ النبي ﷺ بين ظهرانيهم يدعوهم ثلاثاً وعشرين سنة ونزلت آيات التحدي في فواصل زمنية متباعدة؛ وقد بلغهم هذا التحدي وقد فهموا المقصود منه؛ لأن النبي ﷺ كان بينهم وكان باستطاعتهم أن يسألوه عما غمض عنهم ثم يتحدّوه إن استطاعوا.

---

(61) نظراً لشح وجود هذا الكتاب في الأسواق ولإلحاح كثير من الزملاء والأصدقاء قمت باستعارة هذا الكتاب من مكتبة الجامعة الأردنية وشرعت بتلخيصه.

الحملة على القرآن بأنه محض افتراء، وأنّ صاحب الرسالة كذّاب، ليخفوا وراء هذا الكلام عجزهم، وانصرفوا - كما يقول العلماء- عن الحرب الكلامية إلى حرب السيف والرمح.. وانتهت هذه المعركة بين العرب والقرآن بأن سجّل هزيمتهم النهائية في باب البيان، فقال تعالى في كتابه الكريم ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾.

- **رأي الأستاذ نعيم الحمصي في إعجاز القرآن الكريم :**

الذي يراه هو أنّ القرآن باغتهم بمميزات فيه أدركوا جمالها وعجّزهم عن مثلها.

ومن هذه المميزات ما يرجع إلى أسلوب القرآن الغريب الذي جاء مخالفاً لأساليبهم في الكلام وهي المميزات الظاهرة الواضحة التي يمكن حدّها والإشارة إليها .

ومنها ما هو داخلي يُدرك بالذوق ويصعب بيانه وتعليله، بل قد يكون متعذراً.

- فمن هذه المميزات الواضحة الخاصة بأسلوب القرآن: افتتاح آياته وسوره بما لا عهد للعرب به، كالحروف المقطعة في أوائل السور؛ فإنها كالمفتاح الموسيقي للآيات التي بعدها، وهي في الوقت ذاته تحدٍ للمشركين بأن يأتوا بمثل آية أو سورة من القرآن وتنديد لعجزهم عن ذلك: ألم، كهيعص، ق: أي هاتوا من هذه الحروف وهي حروف لغتكم كلاماً مثل كلامي إن كنتم قادرين.. ودليل ذلك أنها لا تأتي إلاّ ويأتي معها امتداح القرآن بلفظه أو بما يقوم مقامه، كقوله تعالى ﴿ق، والقرآن المجيد﴾. وقوله ﴿ألم، ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾.
- وأما الشيء الداخلي المعجز في القرآن والذي يدرك بالذوق: فهو أنه قد حوى صفات الأدب الخالد ومميزاته، وهذا ما جعل المتأخرين من العرب ومن تعلموا العربية يدركون إعجازه ويتذوقون جماله، وهذا ما جعله لا يَخلَق على التكرار، ولا يسرع الملل إلى قارئه مهما أعاده، وهذه المميزات جعلت فيه وحدة موضوعية تسعى للمثل الأعلى وتحقيق خير الإنسانية، وأيضا نجد في داخله التعاليم الرفيعة والقيم الخلقية التي تسعى لتنظيم الكون على بساطتها، وفي هذه البساطة سر من أسرار جمالها... ولا ننسى أسلوبه العظيم..

فكرة الإعجاز بعد عصر النبي ﷺ...

الكلام بالتفصيل عن الفكرة عند العلماء.

• القرن الثاني الهجري :

- اتهام ابن المقفع بالمعارضة.

• القرن الثالث الهجري :

1- ابن الراوندي: منكر ومعارض.
2- عيسى بن صبيح المزدار: منكر للإعجاز معتزلي .
3- النظّام: الصرفة والإخبار بالغيب.
4- الجاحظ: النظم، وقال بالصرفة حيناً .
5- علي بن ربن الطبري: الأسلوب والبلاغة.

• القرن الرابع الهجري :

1- المتنبي :اتهم بالمعارضة.
2- ابوالحسن الأشعري: المعجز هو القديم.
3- بندار الفارسي: معجز في كل شيء ولأنه قرآن.
4- الطبري: البلاغة والنظم.
5- القمّي: مفسّر: إدراك الإعجاز ذوقي لا يعلّل.
6- الواسطي: النظم.
7- الرماني: الصرفة والنظم وأمور غيرها .
8- الخطّابي: اللفظ والمعنى والنظم واثره في النفس.
9- العسكري: البلاغة.

• القرن الخامس الهجري :

1- قابوس بن وشمكير: انهم بالمعارضة.
2- ابن سينا: اتهم بالمعارضة.
3- أبو العلاء المعري: اتهم بالمعارضة وناصر الإعجاز ضد ابن الراوندي.
4- الشريف المرتضى: الصرفة، والبلاغة مرة.
5- داعي الدعاة: الإعجاز بالمعنى، بالحكمة.

6- الباقلاني: أميّة النبي وعجز العرب والإخبار عن الغيوب والنظم.

7- ابن سراقة: كل الوجوه التي ذكرها العلماء صواب.

8- ابن حزم: القرآن معجزة؛ لأنه قرآن. كلام الله.

9 الخفاجي: الصرفة والبلاغة.

10 عبد القاهر الجرجاني: النظم.

- **القرن السادس الهجري:**

1- الغزالي: الإعجاز العلمي.

2- القاضي عياض: رأي الباقلاني، وجَمْع العلوم والمعارف.

3- الزمخشري: البيان والمعاني.

4- ابن عطية: نظم ومعاني وإحاطة الله بالألفاظ.

5- الطبرسي: البلاغة والإخبار بالمغيبات والعلوم وجودة المضمون والانسجام.

6- ابن رشد: الإعجاز العلمي وقواعد المنطق.

- **القرن السابع الهجري:**

1- فخر الدين الرازي: مرّة بلاغة ومرّة صرفة وبلاغة معا وأمور أخرى.

2- السكاكي: الإعجاز بالبلاغة والنظم وهو يُدرك بالذوق.

3- ابن العربي: أسلوبه وبلاغته وإخباره بالمغيبات.

4- الآمدي: معجز بجملته وبالنظم والبلاغة والإخبار بالغيب.

5- الطوسي: سَرَد آراء القدماء ومنها الصرفة، البلاغة والصرفة وسيرة النبي ﷺ.

6- حازم القارطاجني: استمرار الفصاحة في القرآن كله.

7- البيضاوي: البلاغة والكمال في المعنى والغيوب الماضية والمستقبلة.

- **القرن الثامن الهجري:**

1- الزملكاني: تأليفه الخاص، وقع كل فن في مرتبته العليا.

2- ابن تيمية: بلاغة، علوم، تفاضل الآيات، قدم القرآن، رفض الكلام النفسي.

3- الخطيب القزويني: البلاغة.

4- ابن جزي الكلبي: الإعجاز بالمضمون وبالبلاغة والأسلوب تعداداً دون أمثلة ،لا رأي جديد، الجمع بين العجز الفعلي عن المعارضة وبين الصرفة مع ترجيح الأول واعتباره الصحيح.

5- يحيى بن حمزة العلوي: عجز العرب عن المعارضة، فصاحة وبلاغة في كل أقسامه، نظم حسن.

6- الأصبهاني: صرفة، نظم مع البلاغة والفصاحة.

7- ابن قيّم الجوزية: استقصاء ، رد الصرفة وقبولها، ذاتية ومنطقية في البحث غالباً، إثبات الإعجاز في سورة الكوثر، قدرة الله ينقطع البشر دونها.

8- ابن كثير: البلاغة، مضمون القرآن وموضوعه وتأثيره، كلام الله مثل صفاته تنقطع دونهما المخلوقات، نفي الصرفة.

9- الشاطبي: إنكار التفسير العلمي.

10- الزركشي: كل الأقوال في الإعجاز وما سيقال مما سيكشف عنه .

● **القرن التاسع الهجري :**

1- ابن خلدون: الإعجاز البلاغي الذي يدرك بالذوق والممارسة .

2- الفيروز آبادي: رواية عن ابن عباس دون رأي شخصي، العشر المتحدّى بها العشر الكبار .

3- المراكشي: البيان، وعجز العرب عن المعارضة له معنى خاص عنده.

● **القرن العاشر الهجري :**

1- معين الدين بن حنفي الدين : البلاغة والاخبار بالمغيّبات.

2- السيوطي: سَرَد لأقوال السابقين واحتواؤه على العلوم.

3- الأنصاري: البلاغة وحسن النظم، مماثلة القرآن أو مماثلة النبي في أُميّته.

4- ابن كمال باشا: الصرفة لا البلاغة، الإعجاز لا يقتضي كونه كلام الله .

5- شيخ زاده القونوي : الفصاحة والبلاغة، فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه، المضمون والهدف الخلقي، والغيب.

6- أبو السعود: أسلوب القرآن وبلاغته ومضمونه، ومنه الغيب.

7- الكازروني: البلاغة، والغيب إلى يوم القيامة.

8- طاش كبري زاده: الأسلوب وحلاوة التلاوة .

9- الشربيني: الجمع بين البلاغة والصرفة، المضمون والشكل.

• القرن الحادي عشر الهجري:

1- السيلكوتي: موافقة البيضاوي: البلاغة، نفي الصرفة أو إضعافها، الإسهاب في قضايا النحو.

2- الشهاب الخفاجي: بلاغة، حسن نظم، تناسق، نفي الصرفة، تردّد في المغيّبات، نفي احتواء العلوم، عدم الثبات في ترتيب آيات التحدي.

• القرن الثاني عشر الهجري:

1- أحمد الكواكبي: لا كلام في وجوه الإعجاز، تخطئة المعتزلة في قولهم بتباين آيات القرآن بلاغة، لا يحكم على جودة الكلام مجرداً من مواضعه ومناسباته، لا تأكّد من كونه مؤلّف مخطوط ((التحرير)).

2- شمس الدين محمد الضريرالمالكي: تفسير منظوم، لا ذاتيّة، جمع آراء السابقين، الجمع بين متناقضين: البلاغة والصرفة.

3- سليمان العجيلي المعروف بالجمل: مجاراة السابقين: الفصاحة والغيوب، الحروف في صدور السور، آيات تحدٍ إلى المعارضة .

• القرن الثالث عشر الهجري:

1- الإمام الشوكاني: البلاغة والغيوب وفخامة المعاني ،ورفض الصرفة.

2- الألوسي: النظم والبلاغة آخر ما استقرّ رأيه عليه.

3- أوليازارد: البلاغة وحسن النظم وقوة المعنى والإخبار بالغيب، كلام الله كذات الله ليس لهما مثل عند المخلوقين. لا تفاوت في البلاغة بين الآيات، تأثّر بابن عربي في حياة الجماد ونطقه، لا ينسى إنطاق الجماد في علم البيان.

4- صدّيق القنّوجي البخاري: البلاغة والغيوب ومجاراة الشوكاني.

5 -الاسكندراني: حديث القرآن في مختلف العلوم. لا تصريح بلفظ الإعجاز بل إيحاء بالفكرة، دعوة إلى دراسة العلوم الكونية الحديثة، تمهيداً لفكرة الإعجاز العلمي.

- **القرن الرابع عشر الهجري = العشرون الميلادي.**

■ **النزعة العلمية ورجالها :**

1- عبدالله فكري :لا تصريح بالإعجاز العلمي، بل الإيحاء بالفكرة .

2- الدكتور محمد توفيق صدقي: لا تصريح بالإعجاز العلمي، بل بث في نفس القارىء بيان حكمة الشرع.

3- طنطاوي جوهري: حثّ على التأمل في الكون وتعلم علوم الطبيعة، رمز في ضرب موسى بعصاه الحجر، مبالغةً أحياناً في التفسير العلمي، التصريح أحياناً بالإعجاز العلمي، النظام الاقتصادي الإسلامي.

4- علي فكري: مبالغة في التفسير العلمي، الخوف من مردود عكسي.

5- محمد أحمد جاد المولى: الاعتدال والمنطق في إثبات الإعجاز العلمي، بعض المبالغة في نسبة أوّليّات إلى الحضارة الغربية .

6- عمر الملباري: الاقتصار في إثبات الإعجاز العلمي على آية اللؤلؤ والمرجان.

7- محمود مهدي الاستامبولي: الإعجاز بالحكم العالية والنظم الدستورية ولا سيما بالأخبار العلمية، بعض المبالغة في محاولة إثبات الإعجاز العلمي أحياناً .

8- موريس بوكاي: لم يتحدث عن الإعجاز صراحة بل عن صدور المقولات العلمية في القرآن كلها بخلاف التوراة والأناجيل والحديث النبوي لا بدّ إذاً من الاعتراف بأنه كلام الله ولم يعتريه تبديل، دراسة منهجية منطقية لا مبالغة فيها، تحرّي آفاق جديدة علمية تستشف من القرآن، تحريف في إنجيل يوحنّا لإخفاء ذكر مجيء نبي بعد عيسى.

9- الدكتور محمد رشاد خليفة :الإعجاز العددي في رقم (19).

10- محمد متولي الشعراوي: الإعجاز العلمي ومنه تعليم اللغة بالأسماء

■ **رجال الفئة الثانية المهتمون بوجوه الإعجاز الأخرى:-**

1- النخجواني: ضحالة الثقافة واللغة، الكشف الصوفي، الوجوه: الأخلاق الإلهية، الغيب، البلاغة.

2- أبو الفيض الناكوري: سوء اللغة عنده، الوجوه: البلاغة والمدلول والأحكام والحكم والعلوم والكمال.

3- محمد جمال الدين القاسمي: البلاغة وقوة المعاني.

4- الشيخ محمد عبده: البلاغة مع أُمّيّة النبي ﷺ: يختصر الباقلاني .

5- الكواكبي (عبد الرحمن): البلاغة، الأخبار الغيبية، الإعجاز العلمي.

6- الشيخ محمد رشيد رضا: الأسلوب، المضمون، العلم ولا سيّما الغيب ومنه قضايا العلوم العصرية، اجتهاد في ترتيب آيات التحدي.

7- عبد الله الدهلوي النقشبندي: البلاغة والمعاني، الغيب، إيراد آيات دون بيان إعجازها.

8- مصطفى صادق الرافعي: تاريخ للفكرة، موسيقى القرآن، الحس الروحي، البلاغة، الخلو من الألفاظ الزائدة، العلوم.

9- عبد العليم الهندي: بحث تاريخي، لا رأي خاصاً به.

10- أمين الخولي: فكرة تاريخية ،الإعجاز النفسي المدرك بالذوق .

11- الشهيد سيّد قطب: التصوير والإبداع، التنسيق، وقوة الأداء، فضل كلام الله على غيره كفضل خلقه الحياة على صنع البشر أدوات من الطين، قوة الطابع الربّاني، مخاطبة قوى النفس جميعها، كمال التشريع، الموسيقا.. الإعجاز المطلق.. قدرة المؤلف على التحليل الفني لبيان الإعجاز.

12- محمد عبد العظيم الزرقاني: الجمع بين الرافعي والباقلاني، إثبات الإعجاز العلمي من حيث يريد عدم الأخذ به .

13- الأساتذة: حمزة وعلوان وبرانق: الإعجاز في كون القرآن من عند الله، كل ما قيل من وجوهه ماعدا الصرفة، مضافاً إليه الإعجاز العلمي.

14- د. محمد عبد الله دراز: أخبار الغيب الماضية والمستقبلة، تفنيد القول بالوحي النفسي المراد به إنكار حقيقة الوحي. أسلوب القرآن وأثره، الإعجاز البلاغي، التشريعي، العلمي، وحدة القرآن الموضوعية في أجزائه ومجموعه مع وحدة

الهدف ومع نزوله في فترات متباعدة وترتيبه على صورته التوقيفية معجزة مستقلة. قدرة المؤلف على تحليل الآيات وسورة البقرة، لبيان وحدة الهدف والموضوع.

15- الأستاذ احمد مصطفى المراغي: الإعجاز البلاغي، العلمي، مزية استطلاع آراء المختصين، وسائر وجوه الإعجاز ماعدا الصرفة، تسرّع أو تلكّؤ في قبول أو رفض بعض القضايا العلمية.

16- الحاج ميرزا أبو الحسن الشعراني: النظم كعبد القاهر، كفاية المعرفة بإعجاز القرآن دون براهين.

17- د. محمد سعيد رمضان البوطي: في المضمون والشكل، قدرة على بيان نواحي الجمال الفنّي في القرآن، مخاطبة الناس جميعهم، وضع اللفظة أساس جمال الأداء والإيحاء والاتساق وبيان كبرياء الربوبية، وحدة الهدف في القرآن، نفي الصرفة، اعتدال في الإعجاز العلمي، إعجاز التشريع، يكاد ينفرد بالكلام على جلال الربوبية. منهج متكامل للحياة. الإعجاز البلاغي خاص بالناطقين بالعربية وباقي وجوه الإعجاز مشاعٌ بين الأمم. التفصيل في نواحي الجمال الفني بتحليل الأمثلة من القرآن، الروح الإنساني السامي.

18- د. محمد علي سلطاني: ليس له رأي خاص: وجوه الإعجاز كلها ماعدا الصرفة.

● تلخيص ونقد لفكرة الإعجاز في القرآن الرابع عشر الهجري:

- يأتي القرن الرابع عشر الهجري هو والقرن الخامس الهجري في طليعة القرون الاسلامية خصبا من حيث معالجة فكرة الإعجاز، مقداراً ونوعاً، وعمقاً وتنويعاً في وجوهه المقبولة، وأخصبها القرن الحالي، وان احتفظ القرن الخامس بفضل السبق الزمني.
- وقد سبق تقسيم المؤلفين في هذا العصر ((القرن الرابع عشر الهجري)) إلى فئتين: فئة قصرت كلامها المفصّل على الإعجاز العلمي الذي هو سمة هذا

العصر الأولى، وإنْ عدّد أصحابها وجوه الإعجاز الأخرى ما عدا الصرفة تعداداً مجملاً. علماً بأن هذه السمة قد سبق إليها المتقدمون تحت عنوان (الإخبار عن الغيوب المستقبلة) و (احتواء القرآن على جميع العلوم). وفئة جعلت وجه الإعجاز العلمي أحد الوجوه ووزّعت عنايتها على هذه الوجوه جميعاً، ولا سيّما الوجه البلاغي، والوجه الموضوعي، والوجه التأثيري، والوجه التأليفي، ولم يخلُ كلام هذه الفئة من نظرات جديدة في تفصيلها مسبوق إليها في مجملها على تفاوت في العمق والإدراك، والإحاطة والقدرة على الأداء والتعبير.

وبين رجال هذه الفئة من استطاعوا تحليل بعض آيات القرآن تحليلاً عميقاً دقيقاً جميلاً، جعل القارىء يحسّ بإعجاز القرآن البلاغي..

• **إلمامة عامة موجزة :**

يذكر الأستاذ ((نعيم الحمصي)) هنا تلخيصاً عاماً لما سجّله، مجمله على النحو التالي :-

1- أنّ استعمال لفظ الإعجاز لمعنى الإتيان بما يُعجز البشر أن يأتوا بمثله هو الذي اشتقت منه المعجزة بمعنى الآية والبرهان.

2- أن معجزة النبي ﷺ معنوية بالإضافة إلى معجزات الأنبياء الآخرين التي كانت حسية، وأن القرآن فَذٌّ في بيانه لم يستطع أحد معارضته .

3- أن آيات التحدي جاءت موافقة لتتالي الآيات في النزول، ترجيحاً، على الترتيب المتناقص في المقدار من القرآن جميعه حتى السورة الواحدة .

4- أن معنى ((المثل)) في آيات التحدي هو المماثلة في كل شيء لا في البلاغة فقط، وان ما جاء به بعض المعارضين كمسيلمة الكذاب فهو في غاية التفاهة، واحتمال أن يكون قد وضع للتندر.

5- رأي الأستاذ ((نعيم الحمصي)) في إعجاز القرآن:

بأنه معجز بمميزات واضحة ومميزات داخلية تدرك بالذوق ويصعب بيانها وتحليلها، وإن من الداخلية اتصافه بصفات الأدب الخالد بما يقطع قوى البشر، وما فيه من جلال الهدف وعظمة التشريع وفي استهدافه بناء مجتمع عادل جديد، وفي إخباره بالغيب، وفي كماله المطلق.

6- إن الكلام في معنى الإعجاز زمن النبي ﷺ كان بسيطاً بساطة الأفكار حينئذ، متناسباً مع عدم تعقد الثقافة بخلطة الأعاجم ودراسة الفلسفة والعلوم الأخرى.

7- أن الأدباء درسوا قضية الإعجاز في علم البلاغة، وبدأ الجاحظ بكتاب (نظم القرآن)، ولكن الجرجاني كانِ أول من نظم الأفكار التي قيلت في الموضوع في كتابه ((دلائل الإعجاز))، وأن ما زعم من كتاب قبله لمحمد بن يزيد الواسطي وأنه مهّد له الطريق، لا نستطيع الاحتجاج به ،لأن الكتاب ليس بين أيدينا.

8- أن أقوم الطرق في البرهنة على الإعجاز ما جاء متأخّراً على يد المؤلّفين في علم البلاغة من الأدباء.

- ويختم المؤلف كتابه هذا بتدوينه لأهم ما لاحظه في القرون الهجرية بدءاً من القرن الثاني حتى القرن الرابع عشر الهجري..

وتلخيص ما ذكره على النحو التالي :

- <u>القرن الثاني</u>: شهد تأليف كتاب في نقد القرآن ومهاجمة الإسلام، وقد اختلف في مؤلفه، وشهد اتهام أحد الأدباء وهو ابن المقفع بمعارضة القرآن .
- <u>والقرن الثالث</u>: شهد أكثر النظريات الرئيسة في الإعجاز، واحتدم فيه الجدل بين المسلمين وغيرهم، وتصدى المعزلة للدفاع، ومثّل ابن الراوندي وعيسى بن صبيح المزدار منكري الإعجاز، وكان النظّام المعتزلي على رأس القائلين بالصرفة ومثّل الجاحظ المعتزلة الأدباء.
- <u>والقرن الرابع</u>: لم يأت أهله بجديد غير دخول المفسرين معركة الإعجاز، وتأليف كتب مستقلة فيه متأثرة قليلاً أو كثيراً بعلم الكلام، وشيوع استعمال (الإعجاز)

عنواناً للكتب المتكلمة عليه، وفي استعمال كلمة (الإعجاز) مكان (عدم قدرة البشر على الإتيان بمثله).

- والقرن الخامس: امتاز بخصب التأليف فيه وبكثرة الرجال الرجال الذين تحدثوا عنه، ولكن أكثرهم حاكى أقوال الأقدمين، وكان عمله مجرد جمع، وظهر القول بصورة أصرح بنظرية ((أن القرآن معجز لأنه كلام الله)) على لسان ابن حزم، كما ظهر الإعجاز بمعاني الحكمة على لسان داعي الدعاة، وظهر عبد القاهر الجرجاني بنظرية النظم الذي يقوم عنده على تلاؤم المعاني في خدمة الغرض العام المقصود تلاؤماً يُراعى فيه التصوير وحسن التعبير والصياغة، وظهر في كتابه (دلائل الإعجاز) التفريق بين الكلام النفسي والكلام الملفوظ، وأن الثاني يجب ان يكون صورة للأول. وظهر في هذا العصر القول بأن بعض القرآن أفصح من بعض على لسان ابن سنان الخفاجي.

- والقرن السادس: ظهرت فيه النظرية العلمية في الإعجاز أول مرة على لسان الإمام الغزالي، ثم القاضي عياض، ثم ابن رشد، وكان الباقون مقلدين أو جامعين. وقال الزمخشري بإعجاز القرآن من حيث البيان في كشّافه، وكان له فضل شرح الجمال والدقّة لعلمي البيان والمعاني في كثير من الآيات. ولكنه قال بأن القرآن حادث (مخلوق) ومن غير ذلك لا يكون معجزاً؛ لأن التحدي يبطل حينئذ ولا يصح، لاستحالة الإتيان بمثل القديم.. ويرد عليه ((نعيم الحمصي)): بأن إثبات أنه معجز بوجوه الإعجاز المتعددة لا ينافي قدم القرآن، بل يؤيده؛ لأن عجز البشر عن الإتيان بمثله يتخذ دليلاً على أنه كلام الله القديم .

- والقرن السابع: كان المؤلفون فيه مجرد ناقلين أو جامعين أو شارحين...

- والقرن الثامن: كَثُر فيه الجمع والنقل عن الأقدمين، ولكن فيه أموراً جديرة بالذكر، فابن تيمية يجمع بين الإعجاز البلاغي واحتواء العلوم، ويتحدث في تفاضل الآيات وقدم القرآن، ويرفض الكلام النفسي، وابن القيّم الجوزية على عمقه واستقصائه يقع في التناقض بين رفض الصرفة ثم قبولها، بالإضافة إلى التناقض بين الصرفة ووجوه الإعجاز الأخرى التي يأخذ بها، وأخصّها البلاغة

والنظم. وأحسن شيء عنده: محاولته إظهار الإعجاز البلاغي في سورة الكوثر أقصر سورة. وابن كثير يخالف الإمام الرازي في أنّ السور القصار جداً ليست معجزة، ويرى أنّ القرآن كله معجز، ويتفق في ذلك مع ابن القيّم الجوزية، وهذا دليل على أنه قد شاع في عصرهم القول بعد إعجاز الصور القصار، فتحركوا للدفاع عنها. وينكر الشاطبي الإعجاز العلمي.. ويأتي الزركشي بفكرة قيّمة: هي إمكان ظهور وجوه جديدة في الإعجاز لم تُقَلْ حتى عهده.

- والقرن التاسع : لم يأت بجديد ...
- والقرن العاشر: لم يأت مؤلفوه بجديد.. وكان من أبرزهم في هذا العصر ((السيوطي)) الذي قال بالإعجاز العلمي، والإخبار عن الغيب، والإعجاز البياني، والموسيقى التأثيرية، وعدم التناقض، ورفض الصرفة، وكان له فضل كبير في عرض فكرة الإعجاز لدى سابقيه عرضاً تاريخياً موجزاً، وذلك في كتابه ((الإتقان)).
- والقرن الحادي عشر: كان الشهاب الخفاجي أخصب من السيلكوتي...
- والقرن الثاني عشر: ... ...
- والقرن الثالث عشر: يتفق فيه الشوكاني والقنّوجي ويزيد عليهما الألوسي الموافقة على قضية العقل وأن له مذهبه في التفسير الإشاري. وأوليا زاده الضوخي مزيّة، وهي ذكره التشابه بين كلام الله وذاته فإن لا مثل لكل منهما لدى البشر. ويهتم الإسكندراني من بينهم باستخراج العلوم الحديثة من الآيات القرآنية مما يوحي بإعجاز القرآن في هذه الناحية دون تصريح، وهو يمهّد بذلك للنزعة العلمية في إثبات الإعجاز التي قويت في القرن الرابع عشر، وغرضه تحبيب المسلمين بالعلوم الحديثة، وقد نجح بذلك.
- والقرن الرابع عشر الهجري: يعتبر من اخصب العصور في معالجة فكرة الإعجاز، بل لعله أخصبها .

وذلك نتيجة لتلاقي الفكر الديني، منبثاً من القرآن، بالعلم الحديث المادي منبثاً من أوروبا، وفي هذا القرن:

قسّم المؤلف المتكلمين في الإعجاز فئتين: الفئة ذات النزعة العلمية، والفئة التي يجمع أكثر رجالها الى النزعة العلمية وجوه الإعجاز الأخرى.

■ ومن رجال النزعة العلمية:

من بالغ في الاستنتاج وتحميل النص ما لا يحمله كطنطاوي جوهري وكعلي فكري.. ومنهم من حاول التوفيق بين القرآن والعلم الحديث دون أن يصرحوا بالإعجاز العلمي، كعبد الله فكري.. وممن لزم الاعتدال والمنطق المقنع دائماً: موريس بوكاي، وقد استنتج من مقارنة مقولات القرآن العلمية بمقررات العلم الحديث المسلّم بها أن القرآن لم يعتريه أيّ تبديل أو تغيير، وأنه من عند الله ودليل على صدق رسالة النبي ﷺ، على خلاف التوراة والأناجيل والحديث النبوي.. وانفرد الدكتور محمد رشاد خليفة باكتشاف الإعجاز العددي والبرهان عليه في القرآن الكريم، ووجد أن للعدد (19) قيمة خاصّة فيه، فهو عدد حروف ((بسم الله الرحمن الرحيم)) المكتوبة كتابة قرآنية توقيفية، ووجد أن كلماتها قد تكررت في القرآن أعدادا من المرات هي من مضاعفات هذا العدد، وقد استعان على إحصاءاته العددية بالعقل الإلكتروني.. وانفرد الشيخ محمد متولي الشعرواي بالإعجاز في تعليم اللغة بدءاً من الأسماء وبالدفاع عن علم ما في الأرحام من المغيبات الخمس، وشارك الآخرين، في كثير من القضايا التي عرضها، ولكن بأسلوب سهل مفيد شائق.

■ ومن رجال الفئة الثانية:

من يغلب عليهم الطابع الصوفي كالنخجواني والدهلوي ومنهم من لم يكن له رأي خاص في الإعجاز وإنما حكى آراء سابقية كالشيخ محمد عبده والقاسمي ومنهم من كان له بعض آراء واجتهادات في وجوه الإعجاز، أو أفاضوا في البحث فيه، ومن المفيضين في البحث: الكواكبي والشيخ محمد رشد رضا. ومن المفيضين ذوي الاجتهاد: الرافعي الذي اهتمّ بموسيقا القرآن والحسّ الروحي وفي احتوائه العلوم، وأمين الخولي الذي قال بالإعجاز النفسي المدرك بالذوق البديعي، وأحمد مصطفى المراغي الذي قال بوجهي الإعجاز العلمي والبلاغي.. ومن هذه الفئة أيضا: زمرة امتازت بالتعمق بالبحث، وببعض

الآراء الذاتية، وبتحليل الشواهد القرآنية تحليلاً فنياً بلاغياً علمياً تثبت به إعجاز القرآن، وقِوَامُها:

الشهيد سيّد قطب، والدكتور محمد عبد الله دراز، والدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، فالأستاذ سيّد قطب: أضاف إلى قوة التحليل قوله بالإعجاز المطلق، وبأن القرآن بالإضافة إلى كلام البشر، كخلق الله بالإضافة إلى الخلق: يصنع الله الحياة، ويصنع الإنسان جرة لا حياة فيها.. والإعجاز عنده في البلاغة والتصوير، وفي سمو التشريع وإحكامه وشموله، وفي موافقة القرآن للحقائق العلمية.. وأضاف الدكتور درّاز: أن القرآن يمتاز بوحدة الموضوع والهدف في أصغر جزءٍ منه وفيه جميعه، وأن ترتيبه على هذه الصورة الكاملة مع نزوله في فترات متباعدة معجزة قائمة بذاتها.

وأضاف الدكتور البوطي: عنايته بنواحي أخرى: منها ناحية ظهور الكبرياء الإلهي في ألفاظ القرآن، وناحية جعله اللفظة القرآنية أساس جمال الأداء، وسعة الإيحاء، وبيان سلطان الربوبية، وتقديم القرآن منهجاً كاملاً للحياة، والروح الإنساني السامي فيه..

انتهى تلخيص كتاب: فكرة إعجاز القرآن/ لنعيم الحمصي -يحمد الله-.

أبو سلوم المعتزلي

المبحث الخامس

مظاهر إعجاز النظم في القرآن الكريم

المطلب الأول: الخصائص المتعلقة بالأسلوب:

يمكن لنا أن نجمل الخصائص المتعلقة بالأسلوب بخمسة خواص، هي على النحو التالي :

■ **الخاصة الأولى:**

أن هذا الأسلوب يجري على نسق بديع خارج عن المعروف من نظام جميع كلام العرب، ويقوم في طريقته التعبيرية على أساس مباين للمألوف من طرائقهم، بيان ذلك أن جميع الفنون التعبيرية عند العرب لا تعدو أن تكون نظماً أو نثراً، وللنظم أعاريض، وأوزان محددة معروفة، وللنثر طرائق من السجع والإرسال وغيرهما مبينة ومعروفة، والقرآن ليس على أعاريض الشعر في عجزه ولا في قصيدة، وليس على سنن النثر المعروف في إرساله ولا في تسجيعه، إذ هو لا يلتزم الموازين المعهودة في هذا ولا ذاك، ولكنك مع ذلك تقرأ بضع آيات منه فتشعر بتوقيع موزون ينبعث من تتابع آياته، بل يسري في صياغته، وتآلف كلماته، وتجد في تركيب حروفه تنسيقاً عجيباً يؤلف اجتماعها إلى بعضها لحناً مطرباً يفرض نفسه على صوت القارىء العربي كيفما قرأ، طالما كانت قراءته صحيحة. ومهما طفت بنظرك في جوانب كتاب الله تعالى ومختلف سوره وجدته مطبوعاً على هذا النسق العجيب فمن أجل ذلك تحيّر العرب في أمره، إذ عرضوه على موازين الشعر فوجدوه غير خاضع لأحكامه، وقارنوه بفنون النثر فوجدوه غير لاحق بالمعهود من طرائقه فكان أن انتهى الكافرون منهم إلى انه السحر، واستيقن المنصفون منهم بأنه تنزيل من رب العالمين.

وإليك أيها القارىء الكريم بعض الأمثلة التي توضح هذه الحقيقة، وتجليها، قال تعالى: ﴿حم تنزيل من الرحمن الرحيم، كتاب فصلت آياته قراناً عربياً لقوم يعلمون، بشيراً ونذيراً فأعرضوا أكثرهم فهم لا يستمعون، وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه، وفي آذاننا وقر، ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون، قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين﴾(62).

---

(62) سورة فصلت: (1-5).

وهذه الآيات بتأليفها العجيب، ونظمها البديع حينما سمعها عتبة بن أبي ربيعة وكان من أساطير البيان استولت على أحاسيسه، ومشاعره، وطارت بلبه، ووقف في ذهول، وحيرة، ثم عبّر عن حيرته وذهوله بقوله: والله لقد سمعت من محمداً قولاً ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة... والله ليكونن لقوله الذي سمعته نبأ عظيم.

وإليك سورة من سوره القصار تتجلى فيها هذه الحقيقة أمام العيان من ينكرها فكأنما ينكر الشمس في وضح النهار .

قال تعالى: ﴿والشمس وضحاها، والقمر إذا تلاها، والنهار إذا جلاّها، والليل إذا يغشاها، والسماء وما بناها، والأرض وما طحاها، ونفس وما سوّاها، فألهمها فجورها وتقواها، قد أفلح من زكاها، وقد خاب من دسّاها، كذبت ثمود بطغواها، إذ انبعث أشقاها، فقال لهم رسول الله ﷺ ناقة الله وسقياها، فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ولا يخاف عقباها﴾(63).

تأمل هذه الآيات وكلماتها، وكيف صيغت هذه الصياغة العجيبة ؟ وكيف تألفت كلماتها وتعانقت جملها ؟ وتأمل هذا النغم الموسيقي العذب الذي ينبع من هذا التآلف البديع، انه إذا لامس أوتاد القلوب: اهتزت له العواطف وتحركت له المشاعر، وأسال الدموع من العيون، وخرت لعظمته جباه أساطير البيان، أشهد أنه النظم الإلهي الذي لا يقدر على مثله مخلوق.

وهذه الحقيقة توجد في سائر كتاب الله لا تتخلف في سورة من سوره ولا في آياته، ومن أجل ذلك عجز أساطير البيان عن الإتيان بأقصر من مثله.

وفي هذا يقول الرافعي "رحمه الله": "وذلك أمر متحقق في القرآن الكريم: يقرأ الإنسان طائفة من آياته، فلا يلبث أن يعرف لها صفة من الحس ترادف ما بعدها وتمده، لا تزال هذه الصفة في لسانه، ولو استوعب القرآن كله، حتى لا يرى آية قد أدخلت الضيم على أختها، أو نكرت منها، أو أبرزتها عن ظل هي فيه، أو دفعتها عن ما هي إليه: ولا يرى ذلك إلا سواء وغاية في الروح والنظم والصفة الحسية، ولا يغتمض في هذا إلا كاذب على دخله ونية، ولا يهجن منه إلا أحمق على جهل وغرارة، ولا يمتري فيه إلا عامي أو أعجمي وكذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون"(64) .

---

(63) سورة الشمس: (15-1).
(64) مصطفى صادق الرافعي: إعجاز القرآن، ص 275.

■ **الخاصة الثانية:**

هي أن التعبير القرآني يظل جارياً على نسق واحد من السمو في جمال اللفظ، وعمق المعنى ودقة الصياغة وروعة التعبير، رغم تنقله بين موضوعات مختلفة من التشريع والقصص والمواعظ والحجاج والوعود والوعيد وتلك حقيقة شاقة، بل لقد ظلت مستحيلة على الزمن لدى فحول علماء العربية والبيان.

وبيان ذلك أن المعنى الذي يراد عرضه، كلما كان أكثر عموماً وأغنى أمثلة وخصائص كان التعبير عنه أيسر، وكانت الألفاظ إليه أسرع، وكلما ضاق المعنى وتحدد، ودق وتعمق كان التعبير عنه أشق، وكانت الألفاظ من حوله أقل.

ولذا كان أكثر الميادين الفكرية التي يتسابق فيها أرباب الفصاحة والبيان هي ميادين الفخر والحماسة والموعظة والمدح والهجاء، وكانت أقل هذه الميادين اهتماماً منهم، وحركة بهم ميادين الفلسفة والتشريع ومختلف العلوم، وذلك هو السر في أنه قلما تجد الشعر يقتحم شيئاً من هذه الميادين الخالية الأخرى.

ومهما رأيت بليغا كامل البلاغة والبيان، فإنه لا يمكن أن يتصرف بين مختلف الموضوعات والمعاني على مستوى واحد من البيان الرفيع الذي يملكه، بل يختلف كلامه حسب اختلاف الموضوعات التي يطرقها، فربما جاء بالغاية ووقف دونها، غير أنك لا تجد هذا التفاوت في كتاب الله تعالى، فأنت تقرأ آيات منه في الوصف، ثم تنتقل إلى آيات أخرى في القصة، وتقرأ بعد ذلك مقطعاً في التشريع وأحكام الحلال والحرام، فلا تجد الصياغة خلال ذلك إلا في أوج رفيع عجيب من الإشراق والبيان، وتنظر فتجد المعاني كلها لاحقة بها سانحة إليها. ودونك فأقرأ ما شئت من هذا الكتاب المبين متنقلا بين مختلف معانية، وموضوعاته لتتأكد من صدق ما أقول، ولتلمس برهانه عن تجربه ونظر(65) .

ويقول في معرض حديثه عن "روح التركيب" في أسلوب القرآن: لا ترى غير صورة واحدة من الكمال، وان اختلفت أجزاؤها في جهات التركيب وموضع التأليف وألوان التصوير وأغراض الكلام(66).

(65) راجع كتاب: د. محمد رمضان البوطي، روائع القرآن.

(66) انظر المرجع السابق نفسه: ص 274، وانظر كتاب الرافعي: تاريخ الأدب العربي، ص 241.

ويقـول فـي مـعـرض حـديثـه عـن "روح التـركـيب" فـي أسلوب القـرآن: وهـذه الروح لم تعرف قط كلام عربي غير القرآن، وبها انفرد نظمه، وخرج مما يطيقه الناس، ولولاها لم يكن بحيث هو، كأنما وضع جملة واحدة ليس بين أجزائها تفاوت أو تباين، إذ نراه ينظر في التركيب إلى نظام الكلمة، وتأليفها، ثم إلى تأليف هذا النظم، فمن هنا تعلق بعضه ببعض وخرج في معنى تلك الروح صفة واحدة هي صفة إعجازه في جملة التركيب، وأن العبـارات على جـملة مـا حـصل به من جـهـات الخطاب: كـالقـصص والمواعظ والحكم والتعليم وضرب الأمثال ونحوها مما يقدر لا عليه..

ولولا تلك الروح لخرج أجزاء متفاوتة على مقدار ما بين هذه المعاني، وموقعها في النفوس، وعلى مقدار ما بين الألفاظ والأساليب التي تؤديها حقيقةً ومجازاً، كما تعرف من كلام البلغاء، عند تباين الوجوه التي يتصرف فيها على انهم قد رفهوا عن أنفسهم وكلفوها أكبر المؤنة فلا يألون أن يتوخوا بكلامهم إلى أغراض ومعان يعذب فيها الكلام ويتسق القـول وتحسن الصنعة مما يكون أكبر حسنة في مـادته اللغوية، وذلك شائع مستفيض في مأثور الكلام إلى غيره، وأفضوا بالكلام إلى المعنى ما يشبه في اثنين متقابلين من الناس منظر قفا إلى وجه.

وعلى أننا لم نعرف بليغاً من البلغاء تعاطى الكلام في باب الشرع وتقرير النظر، وتبيين الأحكام ونصب الأدلة وأقام الأصول والاحتجاج لها والرد على خلافها إلا جاء بكلام نازل عن طبقة كلامه في غير هذه الأبواب، وأنت قد تصيب له في غيرها اللفظ الحر والأسلوب الرائع والصنعة المحكمة والبيان العجيب، والمعرض الحسن فإذا صرت إلى ضروب من تلك المعاني، وقعت ثمة على شيء كثير من اللفظ المستكره. والمعنى المستغلق، والسياق المضطرب والأسلوب المتهافت والعبارة المبتذلة، وعلى النشاط متخاذلاً، والعرى محلولة والوثيقة واهنة" (67).

■ الخاصة الثالثة:

أن معانيه مصاغة بحيث يصلح أن يخاطب بها الناس كلهم على اختلاف مداركهم وثقافتهم وعلى تباعد أزمنتهم وبلدانهم، ومع تطور علومهم واكتشافاتهم.

---

(67) راجع كتاب الرافعي: إعجاز القرآن .

خذ آية من كتاب الله مما يتعلق بمعنى تتفاوت في مدى فهمه العقول، ثم قرأها على مسامع خليط من الناس يتفاوتون في المدارك، والثقافة، فستجد أن الآية تعطي كلا منهم معناها بقدر ما يفهم، وان كلاً منهم يستفيد منها معنى وراء الذي انتهى عنده علمه.

وفي القرآن الكثير من هذا وذاك فلنعرض أمثلة منه:

من القبيل الأول: قوله تعالى ﴿تبارك الذي جعل في السماء بروجاً، وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً﴾ فهذه تصف كلا من الشمس والقمر بمعنيين لهما سطح قريب يفهمه الناس كلهم، ولها عمق يصل إليه المتأملون والعلماء، ولها جذور بعيدة يفهمها الباحثون والمتخصصون، والآية تحمل بصياغتها هذه الدرجات الثلاثة للمعنى، فتعطي طاقته وفهمه.

فالعامي من العرب يفهم منها أن كلا من الشمس والقمر يبعثان بالضياء إلى الأرض، وإنما غاير في التعبير عنه بالنسبة لكل منهما تنويعا للفظ، وهو معنى صحيح تدل عليه الآية، والمتأمل من علماء العربية يدرك من وراء ذلك أن الآية تدل على أن الشمس تجمع إلى النور الحرارة فلذلك سماها سراجاً، والقمر يبعث بضياء لا حرارة فيه .

■ **الخاصة الرابعة: وهي ظاهرة التكرار:**

وفي القرآن من هذه الظاهرة نوعان:

أحدهما: تكرار بعض الألفاظ والجمل.

وثانيهما: تكرار بعض المعاني كالأقاصيص، والأخبار .

فالنوع الأول: يأتي على وجه التوكيد، ثم ينطوي بعد ذلك على نكت بلاغية، كالتهويل، والإنذار، والتجسيم والتصوير، وللتكرار اثر بالغ في تحقيق هذه الأغراض البلاغية في الكلام، ومن أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿الحاقة ما الحاقة، وما أدراك ما الحاقة، كذبت ثمود وعاد بالقارعة﴾ وقوله تعالى: ﴿سأصليه صقر، وما أدراك ما صقر، لا تبقي ولا تذر﴾ وقوله تعالى: ﴿أولئك الذي كفروا بربهم، وأولئك الأغلال في أعناقهم، وأولئك أصحاب النار﴾ وقوله تعالى: ﴿وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم، وما أنت بمسمع من في القبور﴾.

والنوع الثاني: وهو تكرار بعض القصص والأخبار، يأتي لتحقيق غرضين هامين:

الأول: إنهاء حقائق ومعاني الوعد والوعيد إلى النفوس بالطريقة التي تألفها، وهي تكرار هذه الحقائق في صور وأشكال مختلفة من التعبير والأسلوب، ولقد أشار القرآن إلى هذا الغرض بقوله: ﴿ولقد صرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكراً﴾ (68).

والثاني: إخراج المعنى الواحد في قوالب مختلفة من الألفاظ والعبارة، وبأساليب مختلفة تفصيلاً وإجمالاً، الكلام في ذلك حتى يتجلى إعجازه، ويستبين قصور الطاقة البشرية عن تقليده أو اللحاق بشأنه، إذ من المعلوم أن هذا الكتاب إنما تنزل لإقناع العقلاء من الناس بأنه ليس كلام بشر، ولإلزامهم بالشريعة التي فيه، فلا بد فيه من الوسائل التي تفي بتحقيق الوسيلة إلى كلا الأمرين .

ومن هنا كان من المحال أن نعثر في القرآن كله على معنى يتكرر في أسلوب واحد من اللفظ، ويدور ضن قطب واحد من التعبير، بل لا بد أن تجده في كل مرة يلبس ثوباً جديداً من الأسلوب. وطريقة التصوير والعرض، بل لا بد أن تجد التركيز في كل مرة منها على جانب معين من جوانب المعنى أو القصة، ولنضرب لك مثالاً على هذا الذي نقول: بقصة موسى عليه السلام إذ أنها أشد القصص في القرآن تكراراً، فهي من هذه الوجهة تعطي فكرة كاملة على هذا التكرار.

وردت هذه القصة في حوالي ثلاثين موضعاً، ولكنها في كل موضع تلبس أسلوباً جديداً وتخرج إخراجاً جديداً يناسب السياق الذي وردت فيه، وتهدف إلى هدف خاص لم يذكر في مكان آخر، حتى كأننا أمام قصة جديدة لم نسمع بها من قبل.

■ الخاصة الخامسة:

وهي تداخل أبحاثه، ومواضيعه في معظم الأحيان فإن من يقرأ هذا الكتاب المبين لا يجد فيه ما يجده في عامة المؤلفات والكتب الأخرى من التنسيق والتبويب حسب المواضيع، وتصنيف البحوث مستقلة عن بعضها، وإنما يجد عامة مواضيعه وأبحاثه لاحقة ببعضها دونما فاصل بينهما، وقد يجدها متداخلة في بعضها في كثير من السور والآيات.

(68) سورة طه: (113).

والحقيقة أن هذه الخاصة في القرآن الكريم، إنما هي مظهر من مظاهر تفرده، واستقلاله عن كل ما هو مألوف ومعروف من طرائق البحث والتأليف.

المطلب الثاني: المفردة القرآنية:

إذا تأملت في الكلمات التي تتألف منها الجمل القرآنية رأيتها تمتاز بميزات ثلاثة رئيسية هي :

1- جمال وقعها في السمع.

2- اتساقها الكامل مع المعنى .

3- اتساع دلالتها لما لا تتسع له عادة دلالات الكلمات الأخرى من المعاني والمدلولات.

وقد نجد في تعابير بعض الأدباء والبلغاء كالجاحظ والمتنبي كلمات تتصف ببعض هذه الميزات الثلاثة أما أن تجتمع كلها معاً، وبصورة مطردة لا تتخلف أو تشذ فذلك مما لم يتوافر إلا في القرآن الكريم.

واليك بعض الأمثلة القرآنية التي توضح هذه الظاهرة وتجليها:

انظر إلى قوله تعالى في وصف كلاً من الليل والصبح: ﴿والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس﴾ ألا تشم راحة المعنى واضحا من كل هاتين الكلمتين: عسعس وتنفس ؟

ألا تشعر أن الكلمة تبعث في خيالك صورة المعنى محسوساً مجسماً دون الحاجة للرجوع إلى قواميس اللغة ؟

وهل في مقدورك أن تصور إقبال الليل، وتمدده في الآفاق المترامية بكلمة أدق وأدل من "عسعس" .

وهل تستطيع أن تصور انفلات الضحى من مخبأ الليل وسجنه بكلمة أروع من "تنفس"؟.

اقرأ قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا، مالكم إذا قيل لكم: انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض﴾.

وادرس الأداء الفني الذي قامت به لفظة "اثاقلتم" بكل ما تكونت به من حروف، ومن صورة ترتيب هذه الحروف، ومن حركة التشديد على الحرف اللثوية "الثاء" والمد بعده، ثم مجيء القاف الذي هو أحد حروف القلقلة، ثم التاء المهموسة، والميم التي تنطبق عليها

الشفتان، ويخرج صوتها من الأنف، ألا تجد نظام الحروف، وصورة أداء الكلمة ذاتها أوحت إليك بالمعنى، قبل أن يرد عليك المعنى من جهة المعاجم؟ إلا تلحظ في خيالك ذلك الجسم المثاقل، يرفعه الرافعون في جهد فيسقط في أيديهم في ثقل؟ ألا تحس أن البطء في تلفظ الكلمة ذاتها يوحي بالحركة البطيئة التي تكون من المثاقل؟

جرب أن تبدل المفردة القرآنية، وتحل محلها لفظة" تثاقلتم" ألا تحس أن شيئاً من الخفة والسرعة، بل والنشاط أوحت به "تثاقلتم" بسبب رصف حروفها، وزوال الشدة، وسبق التاء قبل الثاء ؟ إذن فالبلاغة تتم في استعمال "اثاقلتم" للمعنى المراد، ولا تكون في "تثاقلتم". فسبحان من نظم هذه المفردة في هذا الموقع المناسب.

المطلب الثالث: الجملة القرآنية وصياغتها :

إن دراسة الجملة القرآنية تتصل اتصالاً مباشراً بدراسة المفردة القرآنية لأن هذه أساس الجملة، ومنها تركيبها، وإذ كان علماء البلاغة يجعلون البلاغة درجات فإنهم يقرون دون جدل أن صياغة العبارة القرآنية في الطرف الأعلى من البلاغة الذي هو الإعجاز ذاته، وللإعجاز فيها وجوه كثيرة .

فمنها: ما تجده من التلاؤم والاتساق الكاملين بين كلماتها، وبين ملاحق حركاتها، وسكناتها، فالجملة في القرآن تجدها دائما مؤلفة من كلمات وحروف، وأصوات يستريح لتألفها السمع والصوت والمنطق، ويتكون من نظامها نسق جميل ينطوي على إيقاع رائع، ما كان ليتم لو نقصت من الجملة كلمة أو حرف أو اختلف ترتيب ما بينها بشكل من الأشكال .

اقرأ قوله تعالى: ﴿ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر، وفجرنا الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمر قد قُدر﴾ وتأمل تناسق الكلمات في كل جملة منها، ثم دقق نظرك، وتأمل تآلف الحروف الرخوة مع الشديدة والمهموسة والمجهورة وغيرها، ثم حاول تمعن في تأليف وتعاطف الحركات و السكنات والمدود اللاحقة ببعضها، فإنك إذا تأملت في ذلك، علمت أن هذه الجملة القرآنية، إنما صبت من الكلمات والحروف والحركات في مقدار، وأن ذلك إنما قُدر تقديراً بعلم اللطيف الخبير، وهيهات للمقاييس البشرية أن تضبط الكلام بهذه القوالب الدقيقة .

ومنها: أنك تجد الجملة القرآنية تدل بأقصر عبارة على أوسع معنى تام متكامل لا يكاد الإنسان يستطيع التعبير عنه إلا بأسطر وجمل كثيرة، دون أن تجد فيه اختصاراً

مخلاً أو ضعفاً في الأدلة. اقرأ قوله تعالى: ﴿خذ العفو، وأمر بالعرف وأعرض ع الجاهلين﴾.

ثم تأمل كيف جمع الله بهذا الكلام كل خلق عظيم، لأن في أخذ العفو صلة القاطع والصفح عن الظالمين.

واقرأ قوله تعالى مخاطباً آدم عليه السلام: ﴿إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى، وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى﴾ ثم تأمل كيف جمع الله بهذا الكلام أصول معايش الإنسان كلها من طعام وشراب وملبس ومأوى .

وأقرأ قوله تعالى: ﴿وأوحينا إلى أم موسى أن ارضعيه، فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين﴾. وتأمل كيف جمعت هذه الآية الكريمة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين، أما الأمرين فهما: أرضعيه، وألقيه في اليم، وأما النهيين فهما: لا تخافي، ولا تحزني .

وأما الخبرين: فهما أوحينا وخفت، وأما البشارتين: فهما إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين.

وتأمل سورة "الكوثر" وهي أقصر سورة في القرآن إذ هي ثلاثة آيات قصار كيف تضمنت، على قلة آياتها الإخبار عن مغيبين: أحدهما: الإخبار عن الكوثر "نهر في الجنة" وعظمته وسعته وكثرة أوانيه، الثاني: الإخبار عن "الوليد بن المغيرة" وكان عند نزولها ذا مال وولد، ثم أهلك الله سبحانه ماله وولده، وانقطع نسله(69).

ومنها: إخراج المعنى المجرد في مظهر الأمر المحسوس الملموس، ثم بث الروح والحركة في هذا المظهر نفسه.

ومكمن الإعجاز في ذلك: أن الألفاظ ليست إلا حروفاً جامدة ذات دلالة لغوية على ما أنيط بها من المعاني، فمن العسير جداً أن تصبح هذه الألفاظ وسيلة لصب المعاني

---

(69) بإذن الله تعلى لنا وقفة مع هذه السورة الكريمة كنموذج في الفصل الثاني من هذا الكتاب (الدراسة التطبيقية).

الفكرية المجردة في قوالب من الشخوص والأجرام والمحسوسات، تتحرك في داخل الخيال. كأنها قصة تَمُر أحداثها على مسرح يفيض بالحياة والحركة المشاهدة الملموسة. استمع إلى القرآن الكريم وهو يصور لك قيام الكون على أساس من النظام بالترتيب والتنسيق البديع الذي لا يتخلف، ولا يلحقه الفساد، فيقول: ﴿إن ربكم الله خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا، والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر﴾(70).

إنه يصور لك هذا المعنى في مظهر من الحركة المحسوسة الدائرة بين عينيك، وكأنها أمام آلات تتحرك بسرعة دائبة في نظام مستمر يعيها ويصورها الشعور والخيال.

إن هذه الصور والألوان البلاغية معجزة في القرآن، وإعجازها راجع إلى نظمها، فالقران الكريم - كما سبق أن وضحنا- معجز بنظمه، وهذه الصور والألوان قد اقتضاها هذا النظم المعجز فأصبحت جزءا منه وتكون معجزة.

وبعد هذه الإطلالة السريعة نستطيع أن نُقرّر حقيقة لا مفرّ منها ولا جدل فيها وهي: أن كل كلام بشري في الوجود يعتريه إما (نقض أو نقص أو نقد) إلا كلام الله تعالى في كتابه الكريم.

---

(70) سورة الاعراف: (54).

المبحث السادس

من روائع التشبيه والاستعارة والكناية في القرآن الكريم

المطلب الأول: من روائع التشبيه في القرآن الكريم :

1- قال تعالى: ﴿إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازّينت وظنّ أهلها أنهم قادرون عليها، أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس﴾(71).

شبّه القرآن حال الدنيا في سرعة انقضائها وانقراض نعيمها، واغترار الناس بها، بحال ماء نزل من السماء وأنبت أنواع العشب، وزين بزخارفها وجه الأرض كالعروس إذا أخذت الثياب الفاخرة، حتى إذا طمع أهلها فيها، وظنوا أنها مسلمة من الجوائح أتاها بأس الله فجأة فكأنها لم تكن بالأمس.

تأمل بعقلك وخيالك وذوقك نظم الآية الكريمة، إنها مكونة من عشر جمل لو سقط منها شيء اختل التشبيه، وانظر إلى هذه الجمل تجد كل جملة تعبر عن مشهد من مشاهد الحياة الدنيا، وقد رتبت ترتيباً عجيباً كأن كل جملة منها ولدت التي تليها، وقد تكونت كل جملة من طائفة من الكلمات تألفت بأصواتها وظلالها وأجراسها فعبّرت أصدق تعبير عن المشهد الذي استقلت به، بحيث إذا أخرت أو قدمت أو غيرت كلمة بأخرى أو حرفاً بآخر اختل المعنى، وتبعثرت مشاهد الصورة التشبيهية .

2- قال تعالى: ﴿مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف، لا يقدرون على شيء مما كسبوا﴾(72).

شبّه أعمال الذين كفروا في ضياعها، وذهابها إلى غير عودة بهيئة رماد تذروه الرياح و تذهب به بددا إلى حيث لا ينجمع أبداً . .

تأمل نظم الآية تجد كل كلمة قارة في مكانها، مطمئنة في موضعها لا تشكو قلقاً ولا اضطراباً، معبرة بدقة وصدق عن معناها، وتأمل تناسق الكلمات وتألقها، وترتيب الجمل

---

(71) سورة يونس: (24).

(72) سورة ابراهيم: (18).

وتعانقها، ومخارج الحروف وأصواتها، وإيحاءات الألفاظ وإشارتها تجد نظماً عجيباً لا يقدر عليه إلا خالق الأرض والسماوات .

تأمل كلمة "رماد" إنها توحي بخفة الوزن، وتأمل كلمة "اشتدت" فإنها توحي بسرعة الرياح، وتأمل كلمة "عاصف" فإنها توحي بالعنف.

وتأمل كيف أبرز لك هذا التشبيه ببديع نظمه الصورة حية متحركة كأنك تراها وتلمسها .

3- **قال تعالى: ﴿ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مراضاة الله، وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل، فآتت أكلها ضعفين، فإن لم يصبها وابل فطل﴾**(73).

شبّه القرآن الصدقات التي تنفق ابتغاء مرضاة الله في كثرة ثوابها ومضاعفة أجرها بجنة فوق ربوة أصابها مطر غزير فأخصبت تربتها، وتضاعف أُكلها .

تأمل نظم الآية العجيب، كلمات إلهية لا يصلح في مكانها غيرها تعبّر عن معانيها في دقة وإحكام، وتنبعث منها لطائف وأنوار، وينطوي تحتها الكثير من العجائب والأسرار، وجمل ربانية متناسقة متلاحقة قد فصلت عن معانيها بمقدار، وحروف ذات أصوات وأنغام تبعث في الصورة الحركة وتبث فيها الحياة.

إنما من يقرأ الآية الكريمة، يتذوق حلاوتها، ويخيل إليه أنه يرى هذه الصورة الغيبية الخفية أمام عينيه وأنه يلمسها بيديه.

أبعد هذا التصوير يأتي مكابر مجهول يصف التشبيه القرآني بأنه عن الإعجاز معزول ؟!

4- **قال تعالى: ﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء، كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً، وإنّ أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كان يعلمون﴾**(74).

شبّه القرآن الكريم حال هؤلاء الذين اتخذوا من دون الله أنداداً في لجوئهم واحتمائهم بهؤلاء الأنداد الضعفاء المتناهين في الضعف بحال العنكبوت حينما تأوي إلى بيتها الضعيف الواهن وتحتمي به.

---

(73) سورة البقرة: (265).
(74) سورة العنكبوت: (41).

صورة عجيبة تلح على الحس والوجدان، وتجتذب إليها الالتفات، وتسترعي الانتباه، وتسترق الأسماع وتبهر الألباب وتستولي على الأحاسيس والمشاعر، ويقف أمامها دهاقين الكلام حيارى يتساءلون كيف نظمت هذه الصورة ؟ وكيف تكونت ؟ ثم لا يجدون من يجيبهم على تساؤلاتهم، لأن البشر مهما أوتوا من البراعة والبيان لا يمكنهم الوصول إلى معرفة سر نظم القرآن.

إنها تصور لك هؤلاء العباد الغافلين بصورة العناكب الضئيلة الواهنة، وتصور لك هؤلاء الضعفاء العاجزين بصورة بيت العنكبوت الذي يضرب به المثل في الضعف والوهن.

وأظنك أيها القارىء الكريم لست في حاجة إلى أن أحدثك عن نظم هذه الصورة البلاغية فذلك متروك لذوقك وإحساسك، ولكني أدعوك إلى النظر والتأمل في الكلمات التي اختيرت للمشبه به ونظمت منها صورته: "كمثل العنكبوت اتخذت بيتا".. هل في مقدروك أو في مقدور أي بليغ مهما كان حظه من الفصاحة البيانية، ومهما كان يحفظ من مفردات اللغة العربية أن يأتي بألفاظ تسد مسد هذه الألفاظ التي نظمت منها صورة المشبه به؟ إن أحداً من البشر لن يستطيع، واللغة العربية على اتساع مفرداتها ليس فيها ما يسد مسد هذه الألفاظ.

إنها الصياغة الإلهية يقف البشر أمامها عاجزين حيارى مذهولين.

5- **قال تعالى: ﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين* ولو شئنا لرفعناه بها، ولكنه أخلد إلى الأرض، واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾**(75).

تأمل الصورة التشبيهية التي اشتملت عليها الآية الكريمة:

لقد شبّه القرآن الكريم في هذه الآية حال الكاذب بآيات الله في إصرار على ضلاله في جميع أحواله كالكلب في إدامة اللهثان.

إنها صورة فنية رائعة أحكم القرآن الكريم صياغتها، تكشف في جلاء ووضوح عن حقيقة هذا الكاذب الضال، انه حقير قذر، لا يؤثر فيه النصح والإرشاد ولا ينفع معه الوعظ والتذكير، قد ركب رأسه، ولجّ في ضلاله، واتخذ الشيطان إلهاً من دون الله، ثم

---

(75) سورة الأعراف: (175، 176).

تأمل الكلمات التي نظمت منها صورة المشبه به لا تجد في مفردات اللغة - على كثرتها- ما يقوم مقامها ويسد مسدها، ثم تأمل كلمة "الكلب" وحدها لا تجد كلمة في اللغة تصور هذا المعنى وتبرزه في صورة حية متحركة سواها، إذ كل مخلوق إنما يلهث من مرض أو عطش أو إعياء إلا الكلب فإنه يلهث في جميع أحواله، في حال الدلال وفي حال الراحة، وفي حال الصحة والمرض، وفي حال الري والعطش.

6- **قال تعالى: ﴿وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون﴾**(76).

شبّه القرآن الكريم الحور باللؤلؤ المكنون في الصفاء والنقاء والهدوء والصيانة.

تأمل نظم هذه الصورة التشبيهية الإلهية، إنها فوق طاقة البشر، ثم تأمل هذه الكلمة العجيبة "اللؤلؤ" هل في مقدورك أو في مقدور أي بليغ مهما أوتي من البراعة والبيان أن يأتي بكلمة أخرى تؤدي معناها، وتصور ما صورته ؟ ثم تأمل الدقة في صفة هذا اللؤلؤ بكونه مكنوناً.

إن اللؤلؤ فيه الصفاء والهدوء والنقاء، وهو أحجار كريمة من شأنها أن تصان ويحرص عليها.

تأمل الارتباط العجيب والصلة الوثيقة بين الحور العين واللؤلؤ المكنون، إنه الإعجاز يلبس ثوب التشبيه فيقف البلغاء أمامه ضعفاء قد استولت عليهم الحيرة وسيطرت على عقولهم الدهشة وداعبت أنامل الاعجاب حبات قلوبهم، فخروا ساجدين لعظمته، وشهدوا بأنه البيان الآلهي الذي لا يقدر عليه البشر.

7- **قال تعالى: ﴿يوم يكون الناس كالفراش المبثوث، وتكون الجبال كالعهن المنفوش﴾**(77).

شبّه القرآن الكريم الناس يوم القيامة بالفراش المبثوث في ضعفهم وضالتهم و تهافتهم.

وشبّه الجبال بالعهن وهو "الصوف" المنفوض في هشاشتها وخفتها..

مشهدان رائعان رسمتهما الآيتين الكريمتين فأجادتا وأعجزتا وأدهشتا .

---

(76) سورة الواقعة: (22، 23).
(77) سورة القارعة: (4، 5).

تأمل هذه الكلمة "الفراش " إنها تصور لك بظلها وجرسها وإيحائها، الناس في هذا اليوم في منتهى الضعف والضالة، وهم مستطارون مستخفون من هول هذا اليوم .

وتأمل الدقة في وصف الفراش بكونه مبثوثاً، إن هذا الوصف يصور لك كثرة الناس في هذا اليوم وتهافتهم ثم حدثني بربك هل في مفردات اللغة كلمة تصور هذا المشهد سوى هذه الكلمة القرآنية؟

وهل هناك أعجب من هذه الدقة في وصف الفراش بكونه مبثوثا؟

ثم دقق نظرك في كلمة "العهن" هل في قواميس اللغة العربية كلمة أقدر على تصوير هذا المشهد من هذه الكلمة ؟ إنها بجمالها وظلها وجرسها الساحر تصور لك الجبال الضخمة الثابتة بالصوف المنفوش الذي تتقاذفه الرياح الهوج. ثم تأمل بعقلك وخيالك الدقة والإحكام في وصف العهن بكونه منفوشاً، إن هذا الوصف يصور لك الجبال الضخمة الثابتة في منتهى الهشاشة والخفة.

إنه النظم القرآني يبهر العقول، ويطير بالألباب، ويذهب بسر البلاغة وسحر البيان.

المطلب الثاني: من روائع الاستعارة في القرآن الكريم :

1- قال تعالى: ﴿وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون﴾ (78).

استعير في الآية الكريمة: "السلخ" وهو كشط الجلد عن الشاة ونحوها؛ لإزالة ضوء النهار عن الكون قليلاً قليلاً، بجامع ما يترتب على كل منهما من ظهور شيء كان خافياً، فبكشط الجلد يظهر لحم الشاة، وبغروب الشمس تظهر الظلمة التي هي الأصل و النور طارىء عليها، يسترها بضوئه.

وهذا التعبير الفني يسميه علماء البلاغة "الاستعارة التصريحية التبعية".

استعارة رائعة وجميلة، إنها بنظمها الفريد وبإيحائها وظلها وجرسها قد رسمت منظراً بديعاً للضوء وهو ينحسر عن الكون قليلاً قليلاً والظلام وهو يدب إليه في بطء.

إنها قد خلعت على الضوء والظلام الحياة، حتى صارا كأنهما جيشان يقتتلان، قد انهزم أحدهما فولّى هارباً، وترك مكانه للآخر.

---

(78) سورة يس: (37).

تأمل اللفظة المستعارة وهي "تسلخ" إن هذه الكلمة هي التي قد استقلت بالتصوير والتعبير داخل نظم الآية المعجز فهل يصلح مكانها غيرها ؟.

2- **قال تعالى: ﴿والصبح إذا تنفس﴾ (79).**

استعير في الآية الكريمة خروج النَفَس شيئاً فشيئاً لخروج النور من المشرق عند انشقاق الفجر قليلاً قليلاً بمعنى التنفس. (تنفس بمعنى خرج النور من المشرق عند انشقاق الفجر).

استعارة قد بلغت من الحسن أقصاه، وتربعت على عرش الجمال بنظمها الفريد، إنها قد خلعت على الصبح الحياة حتى لقد صار كائناً حياً يتنفس، بل إنساناً ذا عواطف وخلجات نفسية، تشرق الحياة بإشراق من ثغره المنفرج عن ابتسامة وديعة، وهو يتنفس بهدوء، فتتنفس معه الحياة، ويدب النشاط في الأحياء على وجه الأرض والسماء، أرأيت أعجب من هذا التصوير، وأمتع من هذا التعبير؟

ثم تأمل اللفظة المستعارة وهي "تنفس" إنها بصوتها الجميل وظلها الظليل، وجرسها الساحر قد رسمت هذه الصورة البديعة في إطار نظم الآية المعجزة، فهل من ألفاظ اللغة العربية على كثرتها يؤدي ما أدته، ويصور ما صورته؟!.

3- **قال تعالى: ﴿إنَا لما طغى الماء حملناكم في الجارية﴾(80).**

استعير في الآية الكريمة "الطغيان" الأكثر للماء بجامع الخروج عن حد الاعتدال والاستعارة المفرط في كل منها. ثم اشتق من الطغيان: طغى بمعنى كثر.

استعارة فريدة لا توجد في غير القرآن، إنها تصور لك الماء إذا كثر وفار واضطرب بالطاغية الذي جاوز حده، وأفرط في استعلائه، أرأيت أعجب من هذا التصوير الذي يخلع على الماء صفات الإنسان الآدمي؟ ثم تأمل اللفظة المستعارة "طغى " إنها بصوتها وظلها وجرسها وإيحائها قد استقلت برسم هذه الصورة الساحرة في إطار نظم الآية المعجز.

---

(79) سورة التكوير: (18).
(80) سورة الحاقة: (11).

4- **قال تعالى: ﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين﴾(81).**

استعير في الآية الكريمة: "الصدع" وهو كسر الزجاج للتبليغ بجامع التأثير في كل منهما، أما في التبليغ فلأن المبلغ قد أثر في الأمور المبلغة ببيانها بحيث لا تعود إلى حالتها الأولى من الخفاء، وأما في الكسر فلأن فيه تأثير لا يعود المكسور معه إلى التئامه.

ثم اشتق من الصدع معنى التبليغ، اصدع بمعنى بلغ، استعارة رائعة وجميلة، إنها تبرز لك ما أمر به الرسول ﷺ في صورة مادة يشق بها ويصدع، إنها تبرز لك المعنى المعقول في صورة حسية متحركة كأنك تراها بعينك وتلمسها بيدك.

تأمل اللفظة المستعارة "اصدع" إنها بصورتها وجرسها وإيحائها قد استقلت برسم هذه الصورة الفردية المؤثرة إذ أن من يقرأها يخيل إليه أنه يسمع حركة هذه المادة المصدوعة، تخيل لو استبدلت كلمة "اصدع" بكلمة "بلغ" ألا تحس أن عنصر التأثير قد تضاءل وأن الصورة الحية المتحركة قد اختفت وأن المعنى قد أصبح شاحباً باهتاً؟.

إن اللفظة المستعارة هي التي رسمت هذه الصورة في إطار نظم الآية المعجزة.

5- **قال تعالى: ﴿وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعاً﴾(82).**

استعير في الآية الكريمة الموج "حركة الماء" للدفع الشديد بجامع سرعة الاضطراب وتتابعه في الكثرة ثم اشتق من الموج بمعنى الدفع الشديد "يموج" بمعنى يدفع بشدة.

إن هذه الاستعارة القرآنية الرائعة تصور للخيال هذا الجمع الحاشد من الناس احتشاداً لا تدرك العين مداه حتى صار هذا الحشد الزاخر كبحر ترى العين منه ما تراه من البحر الزاخر من حركة وتموج واضطراب. تأمل اللفظة المستعارة إنها في إطار نظم الآية المعجزة قد استقلت برسم هذا المشهد الفريد بصوتها وجرسها وإيحائها.

---

(81) سورة الحجر: (94).
(82) سورة الكهف: (99).

6- قال تعالى: ﴿ألر.كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور﴾(83).

استعير في الآية الكريمة الظلمات للضلال بجامع عدم الاهتداء في كل منها.. واستعير النور بجامع الاهتداء في كل منها، وهذا المسلك الأدبي يسميه علماء البلاغة الاستعارة التصريحية الأصلية.

هذه الاستعارة الفردية تبرز المعاني المعقولة الخفية في صورة محسوسة، حية متحركة كأن العين تراها واليد تلمسها، تأمل كلمة "الظلمات" إنها تصور لك بظلامها الضلال ليلاً دامساً يطمس معالم الطريق أمام الضلال فلا يهتدي إلى الحق، ثم تأمل الدقة القرآنية في جمع "الظلمات" إنه يصور لك إلى أي مدى ينبهم الطريق أمام الضلال فلا يهتدون إلى الحق وسط هذا الظلام المتراكم.

ثم تأمل كلمة "النور" إنها بنورها تصور لك الهداية مصباحاً منيراً ينير جوانب العقل والقلب ويوضح معالم الطريق أمام المهتدي فيصل في سهولة ويسر إلى الحق فينتفع به فيطمئن قلبه وتسكن نفسه ويحظى بالسعادة في دنياه وأخراه.

المطلب الثالث: من روائع الكناية في القرآن الكريم :

1- قال تعالى :(نساؤكم حرثٌ لكم﴾(84).

لقد كنّى القرآن الكريم في هذه الآية بكلمة "الحرث" عن المعاشرة الزوجية.

إن هذه الكناية الفردية مما انفرد به القرآن الكريم فهي لطيفة دقيقة راسمة مصورة، مؤدبة مهذبة، فيها من روعة التعبير وجمال التصوير، وألوان الأدب والتهذيب ما لا يستقل به بيان، ولا يدركه إلا من تذوق حلاوة القرآن. إنها عبرت عن المعاشرة الزوجية التي من شأنها أن تتم في السر والخفاء بالحرث وهذا نوع من الأدب رفيع وثيق الصلة بالمعاشرة الزوجية، وتنطوي تحته معاني كثيرة تحتاج في التعبير عنها إلى آلاف الكلمات، انظر إلى ذلك التشابه بين صلة المزارع بحرثه وصلة الزوجة في هذا المجال الخاص، وبين ذلك النبت الذي يخرجه الحرث، وذلك النبت الذي تخرجه الزوجة وما في كليهما من تكثير وعمران وفلاح، كل هذه الصور والمعاني تنطوي تحت كلمة "الحرث" أليست هذه الكلمة معجزة بنظمها وتصورها؟

---

(83) سورة ابراهيم: (1).
(84) سورة البقرة: (223).

هل في مفردات اللغة العربية - على كثرتها- ما يقوم مقامها ويؤدي ما أدته ويصور ما صورته. إن المعنى لا يتحقق إلا بها، وعن التصوير لا يوجد بسواها.

2- **قال تعالى: ﴿فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة﴾ (85)** .

هذه الآية كناية عن عدم العناية عند ظهور المعجزة. أي لا تعاندوا عند ظهور المعجزة فتمسكم هذه النار العظيمة، تأمل هذه الكناية ومدى ما فيها من جمال التعبير، وروعة التصوير، ولطافة الإيجاز. إنها عبرت عن العناد عند ظهور المعجزة بالنار العظيمة، وهذا التعبير فيه ما فيه من شدة التنفيذ وقوة التأثير، ثم إن هذا التعبير قد أبرز لك هذا المعنى الفكري المجرد في صورة محسوسة ملموسة ولم يقف عند هذا الحد من التجسيم والتشخيص بل تعداه إلى التصيير والتحويل، فحوّله إلى نار ملتهبة متأججة متوهجة، بل تعداه إلى أعجب من هذا التصوير، ولا أروع وألذ من هذا التعبير؟ إنه الإعجاز يلبس ثوب الكناية فتنحني له هامات البلغاء، ويثير في النفس اسمى آيات الاعجاب.

3- **قال تعالى: ﴿ولكن لا تواعدوهن سرا﴾ (86)**.

في هذه الآية كنّى القرآن الكريم عن الجماع بالسر، تأمل هذه الكناية ومدى ما فيها من اللطائف والأنوار والأسرار، إن في الكناية بالسر عن الجماع من ألوان الأدب والتهذيب ما يعجز عن وصفه أساطير البيان، وفيها من جمال التعبير ما يسترق الأسماع ويهز العواطف ويحرك الأحاسيس والمشاعر، لقد ألبست الجماع الذي يتم في السر ثوب السر فذهبت بسر الفصاحة والبيان، أبعد هذا يقال أن الكناية في القرآن يستطيع أن يحاكيها بنو الإنسان؟ أبداً والله إن بني الإنسان من المعجز بحيث لا يمكنهم فَهْمَ ما تنطوي عليه الكناية في القرآن من الأسرار.

4- **قال تعالى: ﴿إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً لن تقبل توبتهم﴾ (87)**.

كنّى القرآن الكريم في هذه الآية بنفي التوبة عند الموت على الكفر، تأمل هذه الكناية ومدى ما فيها من الجمال والروعة. ألا تحس أن التعبير الذي كنّى به القرآن أجمل من أي تعبير آخر؟ ألا تحس أن في هذا التعبير إيجاز لطيف ؟ إن التعبير بجماله وإيجازه وبديع نظمه فوق مقدور البشر.

---

(85) سورة البقرة: (24).
(86) سورة البقرة: (235).
(87) سورة آل عمران: (90).

5- **قال تعالى: ﴿فجعلهم كعصف مأكول﴾** (88).

كنّى القرآن الكريم بالعصف المأكول عن مصيرهم إلى العذر فإن الورق إذا أكل انتهى حاله إلى ذلك.

تأمل هذه الكناية إن فيها من ألوان الأدب والجمال ما لا يستقل به بيان، وفيها من الإعجاز اللطيف ما يعجز عن وصفه مهرة صناع الكلام.أما الأدب والجمال ففي التعبير عن العذرة بالعصف المأكول وهذا التعبير مما انفرد به القرآن فلا يوجد في غيره، وأما الايجاز اللطيف ففي اختصار مقدمات لا أهمية لها بالتنبيه على النتيجة الحاسمة التي يتقرر فيها المصير. وفيها زيادة على ذلك التلازم الوثيق بين اللفظ والمعنى الكنائي الذي لا يتخلف أبدا فان العصف المأكول لا بد من صيرورته إلى العذرة .

6- **قال تعالى: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك، ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً﴾** (89).

كنّى القرآن الكريم في هذه الآية بغل اليد إلى العنق عن البخل، وببسطها كل البسط عن الإسراف، تأمل الكنايتين تجد فيهما من روائع البيان ما لا يحيط به فكر إنسان، فيهما جمال في التعبير، وروعة في التصوير، وإيجاز وتأثير، وتنفير، ألا ترى أن التعبير عن البخل باليد المغلولة إلى العنق فيه تصوير محسوس لهذه الخصلة المذمومة في صورة بغيضة منفرة؟

فهذه اليد التي غُلّت إلى العنق لا تستطيع أن تمتد، وهو بذلك يرسم صورة البخيل الذي لا تستطيع يده أن تمتد بإنفاق ولا عطية.

والتعبير ببسطها كل البسط يصور هذا المبذر بأنه لا يبقى من ماله شيء كهذا الذي يبسط يده فلا يبقى بها شيء.

وهكذا استطاعت الكناية أن تنقل المعنى قوياً مؤثراً، ثم تأمل التلازم الوثيق الذي لا يتخلف أبداً بين التعبير والمعنى الكنائي. إن هذا التلائم يدلك على أن المعنى الكنائي لا يمكن تأديته وتصويره إلا بهذا التعبير، وأن هذا التعبير لا يصلح إلا لهذا المعنى. هل في مقدور البشر أن يحاكوا هذا الأسلوب؟

نعود ونقول: سبحان منزل القرآن ؟؟!!.

---

(88) سورة الفيل: (5).
(89) سورة الإسراء: (29).

2

الفصل الثاني

الدراسات التطبيقية

ثلاثة بحوث كنماذج تطبيقية للإعجاز البياني في القرآن الكريم

- النموذج الأول: التعريف والتنكير في البيان القرآني .

النموذج الأول

التعريف والتنكير في البيان القرآني

مدخل تمهيدي :

سبق وأن اتضح لنا أثناء الدراسات النظرية للإعجاز البياني بأن القرآن الكريم قد اتبع أساليباً عديدة في بيانه وبلاغته؛ ولذلك أحببت أن اختار أسلوباً واحداً من هذه الأساليب لأتحدث عنه، وقد وقع اختياري على أسلوب: (التعريف والتنكير)، فالتعريف والتنكير من الأساليب البلاغية التي من حق البليغ أن يراعيها في الكلام، إذ لكل منهما موضعه الذي يتطلبه، ولا يحسن في غيره، فقد يحسن تعريف الكلمة في موضع لا يحسن فيه تنكيرها، بينما نرى العكس هو الصحيح في موضع لآخر .

وحينما ننظر إلى الكتابات المعاصرة حول هذا الموضوع: لا نجد من أفرد كتابا أو حتى بحثاً في موضوع (التعريف والتنكير) - على حدود اطلاعي- وإنما كانت الكتابات عن -إعجاز القرآن البياني البلاغي- وفي ثناياها يكتب المؤلف شيئاً عن أسلوب التعريف والتنكير.

ومن هذه الدراسات: دراسة أستاذي الفاضل (د صلاح الخالدي) في كتابه: إعجاز القرآن ودلائل مصدره الرباني، فقد أفرد فصلاً من كتابه تحدث فيه عن أسلوب التعريف والتنكير، وقد استفدت كثيراً من هذه الدراسة. وكذلك دراسة (د. عبدالجليل عبدالرحيم) في كتابه: لغة القرآن. و(د. عبد الفتاح لاشين) في كتابين: الأول: صفاء الكلمة في التعبير القرآني. والثاني: المعاني في ضوء أساليب القرآن. و (د. فاضل السامرائي) في كتابه: التعبير القرآني. جميعهم تحدثوا إجمالا عن أسلوب التعريف والتنكير في ثنايا ما كتبوه ودوّنوه في كتبهم.

وأقوم هنا بالحديث عن هذا الأسلوب البياني القرآني نظرياً ثم أرفقه بنماذج وأمثلة تطبيقية أثبت من خلالها التوازن الدقيق والتناسق الجميل بين تعريف اللفظ وتنكيره.

ومن الله أستمد العون،،

المبحث الأول

المقصود بالتعريف والتنكير وعلاقته بالبيان القرآني

المطلب الأول: المقصود بالتعريف والتنكير:

لكل اسم في اللغة معنى إفرادي، وهذا المعنى تارة يكون شائعاً عاماً، وتارة يكون معيناً محدداً، فما كان معناه من النوع الأول سمي بالنكرة، وما كان معناه من النوع الثاني سمي بالمعرفة(1).

وبالتالي: الاسم الذي يكون شائعاً تماماً: فهو نكرة، وإذا تعيّن وتحدد أصبح معرفة.

ولذلك: فإن "النكرة " هي الأصل، إذ لا يوجد معرفة إلا وله اسم نكرة .

ونستطيع تعريف النكرة: "بأنها ما تقبل الألف واللام وتؤثر فيه التعريف، أو يقع موقع ما يقبل (أل)، وغير النكرة: يكون المعرفة، فمثلاً: لفظ (رجل) نكرة، عند دخول الألف واللام (الرجل) أصبح معرفة...

ويعرف ابن مالك الاسم النكرة بقوله: هو الدال على معنى شائع في جنسه، وعلامته في اللفظ قبول (أل) مؤثر في معناه، أو وقوعه موقع ما هو كذلك "(2).

"فإذا قلت: زيد منطلق، كان كلامك مع من لم يعرف انطلاقاً من زيد ولا من غيره فأنت تفيده ذلك، وإذا قلت: زيد المنطلق، كان كلامك مع من عرف انطلاقاً واقعاً فأنت تعرفه أنه كان من "زيد" دون غيره..."(3).

وما نحن بصدده في هذا البحث -إن شاء الله - هو الحديث عن أسلوب من أساليب البيان القرآني المعجز: وهو ظاهرة تعريف اللفظ بـ (الألف واللام) أو بقاء اللفظ على ما هو عليه (نكرة) بدون الألف واللام، وكيف أن القرآن الكريم كان له أسلوبه المتميز ورونقه الخاص في ذلك.

---

(1) د. محمد يسري زعير: أسرار النحو في ضوء أساليب القرآن .ص159.
(2) انظر شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك. ج1، ص74، ص75.
(3) كمال الدين عبد الواحد الزملكاني: البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، ص 219.

المطلب الثاني: علاقة التعريف والتنكير بالبيان القرآني:

يمكن القول: إن أبرز شيء في إعجاز القرآن هو ما يظهر في فصاحته وبلاغته وبيانه، وروعة معانية، ودقة ائتلاف ألفاظه ومبانيه.

لأن القرآن الكريم قد تحدى العرب المشهورين بالبلاغة والبيان والشعر والكلمة المؤثرة، وقد وجدوا في القرآن هذه الجوانب واكتشفوا فيه ما نبغوا فيه، إلا انهم أدركوا تفوقه البياني على كل ما يعرفونه من البيان.. إنه الإعجاز البياني الذي كان واضحاً في آيات القرآن منذ اللحظات الأولى لنزوله، واستحوذ على عقول العرب وتفكيرهم وقلوبهم وعواطفهم وأحاسيسهم ومشاعرهم وذلك من قبل أن يشير القرآن إلى العلوم الكونية في خلق الكون والإنسان والحياة، وقبل أن يكتمل التشريع، وقبل أن يشير القرآن عن الحوادث المستقبلية.

إنه الجمال الفني الذي حدا بعلماء اللغة والأدب والفلسفة لأن يقولوا في القرآن:

لا هو نثر ولا هو شعر، إنما هو قرآن له لفظه ونغمه ونسقه وأسلوبه المتميز به.

إنه النسق القرآني في الألفاظ والمعاني معاً لا انفصال بينهما، فألفاظ القرآن تنقاد لمعانيه، ومعانيه تنقاد لألفاظه، بحيث لا تتغلب إحداها على الأخرى(4).

ولذلك فان القرآن الكريم قد نوّع في أساليبه المتميزة، فكانت هذه الأساليب خاصة به، ومنها جاء قائماً بذاته لا يشبهه ولا يجاريه كتاب آخر.

ومن هذه الأساليب المتنوعة: أسلوب التعريف والتنكير، فتجد لفظ من ألفاظ القرآن الكريم في موضع معرفاً وتجده نفسه في موضع آخر منكراً. وهذا لم يحدث عبثاً، وإنما له مدلوله وتنظيمه وسياقه الخاص به.

فتكون النتيجة/ بأن أسلوب (التعريف والتنكير) من الأساليب البلاغية جاء ليقرر الإعجاز البياني في القرآن الكريم، وبذلك تظهر العلاقة فيما بينهما، وهذا ما سنبينه أثناء طرحنا للأمثلة القرآنية في هذا البحث - إن شاء الله تعالى-.

---

(4) عكرمة سعيد صبري: أضواء على إعجاز القرآن الكريم، ص 66، ص 67.

المطلب الثالث: التوازن الدقيق بين تعريف الألفاظ وتنكيرها:

مما يتصل بالدقة في اختيار القرآن لألفاظه، ذلك التوازن الدقيق بين تعريف الألفاظ وتنكيرها في البيان القرآني .

"إن مجيء لفظ في القرآن معرفة، ومجيء لفظ آخر نكرة، ومجيء لفظ آخر معرفة في موضع ونكرة في موضع آخر، لم يكن مصادفة في القرآن، إنما هو مقصود في كل موضع، وجيء به على تلك الحالة لينسجم مع السياق الذي ورد فيه ويتناسق معه، وأن التعبير القرآني إذا وضع إسماً معرفة في مكان، ونكرة في مكان آخر، إنما فعل ذلك لحكمة يعلمها الله، وسر تقتضيه اللغة، وهدف يقصده المعنى، ومناسبة يتطلبها السياق.. ولو حاولنا وضع أحد اللفظين مكان الآخر لاختل تناسق الآية، وزال الترابط في صياغة ألفاظها "(5) .

وإن تدبر السياق في الآية يقود إلى معرفة الحكمة في مجيء اللفظ معرفة فيها، بينما ورد اللفظ نفسه نكرة في موضع آخر، فالسياق المعجز هو الحكم في ذلك، وهو الأساس في سر اختيار اللفظ معرفة أو نكرة.

"هناك ألفاظ لم تأت في القرآن إلا معرفة، مثل "الناس"، حيث ورد هذا اللفظ مائتين وإحدى وأربعين مرة، جاء فيها كلها معرفة، ولم يأت نكرة مرة واحدة.

وهناك ألفاظ في القرآن لم تأت إلا نكرة مثل "شيء"، حيث ورد هذا اللفظ مائتين وتسعاً وتسعين مرة، جاء فيها كلها نكرة "(6).

مما سبق يتبين بأن هناك دقة وتوازن في تعريف الألفاظ وتنكيرها في البيان القرآني، وهذا يدل على أن تعريف الألفاظ وتنكيرها مقصود .

---

(5) د. عبدالفتاح لاشين: صفاء الكلمة في التعبير القرآني، ص43.
(6) د. صلاح عبد الفتاح الخالدي: إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، ص230،ص231.

المبحث الثاني

الأغراض الداعية إلى التعريف أو التنكير في البيان القرآني

المطلب الأول: الأغراض الداعية إلى التعريف:

إن ما يفيده التعريف غير ما يفيده التنكير، والأغراض التي تدعو إلى تعريف الكلمة، مخالفة لتلك التي تدعو إلى تنكيرها، وقد نص العلماء على هذه الأغراض وحاول بعضهم حصرها:

فمن الأغراض الداعية إلى (التعريف) ما يلي:

1- الإشارة إلى معهود خارجي. كقوله تعالى: ﴿كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً فعصى فرعون الرسول﴾(7)، وقوله تعالى: ﴿وليس الذكر كالأنثى﴾(8).

2- الإشارة إلى معهود ذهني. كقوله تعالى: ﴿إذ هما في الغار﴾(9)، فكلمة (الغار) في ذهن المخاطب لأنها تقدمت، أو حضوري نحو ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ (10)، فإنها نزلت يوم عرفة(11).

3- أن يقصد تعظيم المسند إليه بالقرب، كقوله تعالى: ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾(12).

4- أن يقصد تعظيم المسند إليه بالبعد، كقوله تعالى: ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾(13)، وكقوله تعالى: ﴿تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً﴾(14).

فقد عظم (الجنة) وأشار إليها بالبعد على أن تكون موضع الأمل والرجاء لطلبها (15).

---

(7) سورة المزمل: (15، 16).
(8) سورة آل عمران: (36).
(9) سورة التوبة: (40).
(10) سورة المائدة: (3).
(11) د. عبد الجليل عبد الرحيم: لغة القرآن الكريم، ص342.
(12) سورة الإسراء: (9).
(13) سورة البقرة: (2).
(14) سورة مريم: (63).
(15) انظر كتاب د. عبد الفتاح لاشين: المعاني في ضوء أساليب القرآن، ص-219ص221.

المطلب الثاني: الأغراض الداعية إلى التنكير:

أما الأغراض الداعية إلى التنكير، فقد ذكر العلماء منها ما يلي :

1- أن يكون القصد الحكم على فرد معين، كقوله تعالى: ﴿وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى﴾(16)، فـ (الرجل) نكرة، لأن الغرض إثبات الحكم لفرد واحد من أفراد الرجال، فليس المراد تعيين الرجل.

2- الدلالة على نوع خاص من انواع الجنس المنكر، كقوله تعالى: ﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة﴾(17). أي وعلى أبصارهم نوع خاص من الأغطية، وذلك هو غطاء الإعراض عن آيات الله.

ومن ذلك قول الشاعر :

لكل داء دواء يستطب به ... إلا الحماقة أعيت من يداويها.

أي لكل داء خاص يصلح لعلاجه...(18)

3- التعظيم، بمعنى أنه أعظم من أن يعين ويعرف، نحو قوله تعالى: ﴿فأذنوا بحرب من الله ورسوله﴾(19) وكقوله تعالى: ﴿ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون﴾(20).

4- التكثير، نحو قوله تعالى: ﴿إنّ لنا لأجراً﴾(21)، أي وافراً جزيلاً. ومما أفاد التعظيم والتكثير معاً: قوله تعالى: ﴿وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك﴾(22)، أي رسل عظام كثيرو عدد.

5- التحقير، نحو قوله تعالى: ﴿إن نظن إلا ظنّاً﴾(23) أي ظناً حقيراً لا يعبأ به، وإلا لاتبعوه.

---

(16) سورة القصص: (20).
(17) سورة البقرة: (7).
(18) د. عبد الفتاح لاشين: المعاني في ضوء أساليب القرآن، ص 221، ص222.
(19) سورة البقرة: (279).
(20) سورة البقرة: (10).
(21) سورة الشعراء: (41).
(22) سورة فاطر: (4).
(23) سورة الجاثية: (32).

6- التقليل، ومنه قوله تعالى: ﴿ورضوان من الله أكبر﴾(24)، أي رضوان قليل من بحار رضوان الله الذي لا يتناهى، أكبر من الجنات؛ لأن رضا المولى رأس كل سعادة، ورحم الله القائل :

قليل منك يكفيني ولكن قليلك لا يقال له قليل(25) .

والواقع أن هذه الأغراض التي يذكرها المفسرون وغيرهم، ليست أغراضاً بالضرورة للتنكير أو التعريف، بل إن الأغراض كامنة في القرائن المحيطة بالكلام، ودليل على ذلك إن التنكير يستعمل لما يستعمل له التعريف أحياناً.. فهذه الأغراض إنما هي وجوهاً للاستعمال والتركيب حسب ما تقتضيه القرائن، فهذه ليست مميزة للتعريف أو التنكير دون الآخر..

والذي لا شك فيه أن لكل من التعريف والتنكير ميزة في الاستعمال ليست في الآخر، إذ لو لم تكن هناك ميزة، لاستوى في نظرنا المجيء بالاسم معرفاً أو منكراً دون أن نحس بجمال أحدهما عن الآخر في نفس الموضع، وهذا ما لا يمكن أن يكون قطعاً، بل إن لكل منهما في موضع خصوصاً في القرآن الكريم من المكنة والجمال ما لا يغني عنه غيره.. والفوائد الكثيرة التي نلمحها من إيثار أحدهما على الآخر في القرآن الكريم هي من خواص الاستعمال القرآني وإعجازه التركيبي، وفي هذا دليل كبير على بلاغة القرآن الكريم، وتفوقه على ما عرف من التراكيب العربية؛ لأنه استعمل التعريف والتنكير في وجوه لا مجال لحصرها، من حيث عددها وتنوعها..(26).

---

(24) سورة التوبة: (72).
(25) انظر كتاب: د. عبد الجليل عبد الرحيم: لغة القرآن الكريم. ص 341، ص342.
(26) المصدر السابق نفسه: ص 343، ص 344 (بانتقاء واختيار).

المبحث الثالث

تكرار الاسم مرتين بالتعريف أو التنكير في القرآن الكريم

المطلب الأول: تكرار المعرفة :

قد يذكر القرآن بعض الأسماء أكثر من مرة، وقد يكون الاسمان المذكوران معرفتين، وقد يكون نكرتين، وقد يكون أحدهما معرفة والآخر نكرة .

- إن كان الاسمان المكرران معرفتين، فالاسم الثاني هو الاسم الأول -غالبا- دلالة على المعهود، لأن (أل التعريف) في الثاني للعهد، أي: تحيل على الاسم الأول المذكور من قبل، فهو معهود في الذكر.

- من الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿وجعلوا بينه وبين الجنّة نسباً ولقد علمت الجنّة انهم لمحضرون﴾(27) .

والمراد بالجنّة في الآية: الجن. (والجنّة) الثانية هي نفس (الجنّة) الأولى، لأنها معرفة في الموضعين، أي هؤلاء (الجنّة) الذين جعلهم المشركون شركاء مع الله محضرون للحساب يوم القيامة .

- ومن الأمثلة على ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿فاعبد الله مخلصاً له الدين ❖ ألا لله الدين الخالص..﴾(28) .

(والدين) المذكور في المرة الثانية، هو نفس (الدين) في المرة الأولى، لأنه معرفة في المرتين، فعلى المؤمن أن يخلص (الدين) لله، لأن (الدين الخالص) لله.

- ومنها أيضاً قوله تعالى: ﴿وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته﴾(29) .

(والسيئات) في المرة الثانية، ه هي نفس (السيئات) في المرة الأولى، لأنها معرفة في المرتين(30) .

---

(27) سورة الصافات: (158).

(28) سورة الزمر: (2، 3).

(29) سورة غافر: (9).

(30) د. صلاح عبد الفتاح الخالدي: إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني. ص238.

المطلب الثاني: تكرار النكرة :

- إن كان الاسمان المكرران نكرتين، فالاسم الثاني غير الاسم الأول -غالبا- لأن تكرار النكرة يدل على تعددها، فالنكرة الثانية غير النكرة الأولى .

- من الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين من القطر﴾(31) .

كلمة (شهر) في الآية نكرة مكررة، والشهر الثاني غير الشهر الأول، فالله سخر الريح لسليمان عليه السلام وجعلها تغدو في مدة شهر، وتروح وترجع في مدة شهر آخر، فمدة لبثها شهران كاملان(32) .

- ومن الأمثلة على ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿فإن مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً﴾(33) .

فكلمة (العسر) كررت معرفة فلم يكرر معناها، وكلمة (يسر) كررت نكرة فتكرر معناها(34) . فإن العسر الثاني هو العسر الأول، وإن اليسر الثاني هو غير اليسر الأول.

فنسبة العسر إلى اليسر هي نسبة واحد إلى اثنين، فعلى أصحاب الابتلاء والمحنة أن ينتظروا اليسر بأمل عريض.

ولهذا ورد القول المأثور: " لن يغلب عسر يسرين ".

- وقد تكررت نكرة ثلاث مرات في آية واحدة، وفي كل مرة كان لها معنى خاص هي كلمة (ضعف) في قوله تعالى: ﴿الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير﴾(35) . المراد بالضعف الأول: النطفة، والضعف الثاني: الطفولة، والضعف الثالث: الشيخوخة، واللطيف في الآية: إن (قوة) نكرة مكررة، والقوة الثانية غير الأولى، فالقوة الأولى قوة الصبا، والثانية قوة الشباب(36) .

---

(31) سورة سبأ: (12).

(32) د. صلاح الخالدي: إعجاز القرآن البياني، ص239.

(33) سورة الشرح: (5، 6).

(34) انظر كتاب: د. محمد يسري زعير: أسرار النحو في ضوء أساليب القرآن، ص167.

(35) سورة الروم: (54).

(36) انظر كتاب :د. عبد الفتاح لاشين: صفاء الكلمة ،ص-36ص45. وانظر أيضا :د .صلاح الخالدي: إعجاز القرآن البياني ،ص241-239.

المبحث الرابع

أمثلة على الدقة القرآنية المقصودة في تعريف الألفاظ وتنكيرها

المطلب الأول: تنكير (حياة) وتعريفها في القرآن:

كلمة (حياة) وردت في القرآن نكرة في عدة آيات، كما وردت معرفة في عدة آيات أخرى، وتعريفها أحيانا بأل التعريف (الحياة) وأحيانا بالإضافة (حياتي) وأحيانا بالواو والنون (الحيوان).

- من المواضع التي وردت فيها (حياة) نكرة قوله تعالى: ﴿ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر..﴾(37).

تنكير (حياة) في الآية للتحقير، لأن الكلام فيها عن اليهود وذمهم وتوبيخهم، فالآية تشير إلى حرصهم على أن تمتد بهم الحياة، وأن تطول بهم أعمارهم مدة طويلة، وهم في حرصهم هذا يريدون أن يعيشوا (حياة) أية حياة. ولا يهمهم نوع الحياة التي يعيشونها، هل هي عزيزة أو ذليلة؟!! علماً أن الحرص على الحياة يكون مقترناً بالذل والهوان، والحريص على أن يعيش أية (حياة) سيقضي حياته جباناً ذليلاً حقيراً مهاناً.

- وإذا كان تنكير (حياة) في الآية السابقة للتحقير، فإن تنكيرها في آية أخرى لحكمة أخرى، قال تعالى: ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم..﴾(38).

تنكير (حياة) في هذه الآية للتكريم والتشريف، فقد وصفها بأنها طيبة لأن صاحبها يحياها ويعيشها في طاعة الله، ويكثر فيها من الأعمال الصالحة.

(أين الحياة الطيبة التي يحياها المؤمن الصالح من الحياة الحياة الحقيرة التي يحرص عليها اليهودي)؟!!.

- وفي موضع ثالث جاء تنكير (حياة) للتعظيم، قال تعالى: ﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الالباب﴾(39)، ففي القصاص يعيش المؤمنون حياة عظمى قائمة على

---

(37) سورة البقرة: (96).
(38) سورة النحل: (97).
(39) سورة البقرة: (179).

المودة والمحبة والسلام، ولا يشوهها العدوان والظلم والأخذ بالثأر وسفك الدماء(40).

وإذا كان تنكير (حياة) في الأمثلة الثلاثة السابقة لحكمة بيانية أسلوبية، وحكمة موضوعية معنوية، تلحظ من السياق الذي وردت فيه الكلمة، فإن تعريفها في آيات أخرى لحكم بيانية وموضوعية .

- عرفت الحياة بالإضافة، وأريد بها الحياة في الدار الآخرة، وذلك في قوله تعالى: ﴿وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الإنسان وأنّى له الذكرى يقول يا ليتني قدمت لحياتي...﴾(41)، والتعريف في (لحياتي) للتخصيص، والهدف منه تقرير حقيقة الحياة الأخرى، فهي الحياة الحقة، الدائمة الخالدة، التي تستحق أن يهتم بها الإنسان ويسعى لها، ويقدم من الأعمال الصالحة ما يسره أن يجده فيها .

وأطلقت (الحياة) المعرفة على الحياتين: الحياة الدنيا والحياة الآخرة، وذلك في آية واحدة، هي قوله تعالى: ﴿وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون﴾(42)، عرفت الآية (الحياة) بأل التعريف، ووصفتها بأنها (الحياة الدنيا)، وحصرتها بأنها قائمة على اللهو واللعب: "وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب". أما الدار الآخرة فهي ليست (حياة) عظيمة فقط، وهي ليست (الحياة) الكريمة الطيبة فقط، وإنما هي في الآية (الحيوان).

أن (الحيوان) معرفة بأل التعريف، وهي صيغة مبالغة بالألف والنون، و(الحيوان) مصدر على وزن (فعلان).

و(الحيوان) لم يرد في غير هذا الموضع في القرآن، وهو وصف للحياة الآخرة لأنها باقية دائمة.

- قال الزمخشري في الكشاف: "وفي بناء (الحيوان) زيادة معنى ليس في بناء (الحياة) وهي ما في بناء (فعلان) من معنى الحركة والاضطراب.. والحياة حركة، كما أن الموت سكون، فمجيئه على بناء دال على معنى الحركة، مبالغة في معنى الحياة، ولذلك اختيرت الحيوان.."(43).

(40) انظر كتاب: د. صلاح الخالدي: إعجاز القرآن البياني، ص233-231 (باختصار).
(41) سورة الفجر: (23، 24).
(42) سورة العنكبوت: (64).
(43) محمد بن عمر الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. ج3، ص463.

- وإذا كانت حياة الناس في الدنيا تسمى "الحياة الدنيا" فان الحياة الحقيقة هي حياة الآخرة وهي (الحيوان)، ولم يذكر (الحيوان) في القرن إلا وصفاً للحياة الأبدية في الدار الاخرة(44).

المطلب الثاني: تعريف (الحق) في سورة البقرة وتنكير (حق) في سورة آل عمران:

قال تعالى: ﴿... وضُربت عليهم الذلة والمسكنة وباءو بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾(45).

وقال أيضا: ﴿ضُربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباءو بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق...﴾(46).

فعرّف (الحق) في الأولى ونكّره في الثانية، وذلك أن كلمة (الحق) المعرفة في آية البقرة تدل على أنهم كانوا يقتلون الأنبياء بغير الحق الذي يدعو إلى القتل، والحق الذي يدعو إلى القتل معروف معلوم، وأما النكرة فمعناها أنهم كانوا يقتلون الأنبياء بغير حق أصلاً، لا حق يدعو إلى قتل ولا غيره.

فكلمة (حق) هنا نكرة عامة، وكلمة (حق) معرفة معلومة، والقصد من التنكير: الزيادة في ذمهم وتبشيع فعلهم أكثر مما في التعريف.. ومن الواضح أن موطن الذم والتشنيع عليهم والعيب على فعلهم في آية آل عمران أكبر منه في آية البقرة، يدل على ذلك أمور منها :

1- أنه في سورة البقرة جمع (الذلة) و(المسكنة) وأما في آية آل عمران فقد أكّد وكرّر وعمّم فقال: (ضربت عليهم الذلة أين ما ثُقفوا) فجعلها عامة ثم قال (وضربت عليهم المسكنة) فأعاد الفعل وحرف الجر للزيادة في التوكيد.
2- أنه ذكر الجمع في آية البقرة بصورة القلة فقال: ﴿ويقتلون النبيين﴾ وذكره في آية آل عمران بصورة الكثرة فقال: ﴿ويقتلون الأنبياء﴾ أي: يقتلون العدد الكثير من الأنبياء بغير حق.

---

(44) انظر كتاب: د. صلاح الخالدي: إعجاز القرآن البياني، ص 233، ص 235 (باختصار).
(45) سورة البقرة: (61).
(46) سورة آل عمران: (112).

فالتشنيع عليهم والعيب على فعلهم وذمهم في سورة آل عمران أشد، ومن هذا يتبين أن التعريف في آية البقرة أليق والتنكير في آية عمران أليق(47).

المطلب الثالث: تنكير (أحد) وتعريف (الصمد):

قال تعالى: ﴿قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد﴾ (48).

في سورة الإخلاص لطيفة بيانية حول التعريف والتنكير: فكلمة (أحد) في الآية الأولى نكرة ﴿قل هو الله أحد﴾، وكلمة (الصمد) في الآية الثانية معرفة (الله الصمد).

- فما حكمة تنكير (أحد) وتعريف (الصمد)؟

1- حكمة تنكير (أحد) انها مسبوقة بكلمتين هما (هو الله) وهما مبتدأ وخبر، وكون المبتدأ والخبر معرفة دل على الحصر. واستغنى بتعريفهما ودلالتهما على الحصر عن تعريف (أحد)، فجاء (أحد) نكرة على أصله؛ لأن الأصل في الكلمة هو التنكير.

2- وهناك حكمة أخرى: وهي أنه جاء نكرة للتعظيم والتفخيم والتكريم، وللإشارة إلى أن الله سبحانه لا يمكن تعريفه ولا الإحاطة به.

3- والتعريف يأتي لإزالة اللبس، وهنا ليس هناك لبس، فمقام الأولوهية واضح، ولذلك استغني عنه.

أما (الصمد) فقد جاء في الآية الثانية معرفة وذلك:

1- لأنه خبر، فقوله (الله الصمد) مبتدأ وخبر، وجاء المعرفتين ليطابقا المعرفتين في الآية الأولى: (هو الله).

2- وتعريف (الله الصمد) يدل على الحصر أيضا، فالصمدانية محصورة بالله.

3- وعرفها لإزالة اللبس، فلا تطلب إلا من الله ولا ترجو أحداً سواه، فهنا نهي عن طلب غير الله عز وجل.

فتنكير فاصلة الآية الأولى (أحد) وتعريف فاصلة الآية الثانية (الصمد) جمال بياني وبديع بلاغي (49).

- تمّ بحمد الله-

---

(47) انظر كتاب: د فاضل صالح السامرائي: التعبير القرآني، ص -186ص 187.

(48) سورة الإخلاص: (4-1).

(49) انظر كتاب: د. صلاح الخالدي: إعجاز القرآن البياني، ص235، ص236. وانظر أيضاً كتاب: د. عبد الفتاح لاشين: صفاء الكلمة، ص 24.

النموذج الثاني

سورة العصر ((دراسة بيانية))

مدخل تمهيدي ...

مهما قرأنا وكتبنا عن إعجاز القرآن فسوف يظل في النفس إحساس ينطلق بسر لم تكشف عنه هذه القراءات والكتابات، وإن السر في إعجاز القرآن: هو في عجزنا أن ندرك ذلك السر. فسبحان منزل القرآن.

وبعد أن تعرفنا على شيء يسير من الناحية النظرية بشأن الإعجاز البياني نأتي هنا إلى دراسة سورة العصر، والذي دعاني لاختيار هذه السورة بالذات عدّة أمور أهمها: أنها تعتبر من أقصر سور القرآن الكريم، وبرغم هذا القصر فهي تعتبر مثالاً لتوفر الإعجاز القرآني ووجوده مثلها مثل أي سورة أخرى قصيرة كانت أم كبيرة , وبالنسبة للدراسات السابقة التي تطرقت لهذه السورة فإن أغلبها -على حدود اطلاعي-: عبارة عن تفسير بأنواعه المختلفة، إما تحليلي وإما موضوعي...الخ، بدون مراعاة معنى الإعجاز كإعجاز، أما ما يميز هذه الدراسة -بوجه نظري-: هو أنني نقلت -سابقاً- أبرز أقوال العلماء في الإعجاز القرآني – نظرياً- وهنا أقوم بدراسة تطبيقية لسورة العصر بناء على ما سجلته من معلومات نظرية، محللاً وناقداً على أصول البحث العلمي.

فما يهمني هنا: هو معنى الإعجاز المثبت في الذهن والقيد، وإثباته على ضوء سورة العصر. وقد قمت بالاختصار مع الوفاء بالمعنى قدر الإمكان.

ومن الله أستمد العون،،

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالْعَصْرِ(1) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ(2) إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ(3)﴾

صدق الله العظيم

(سورة العصر: 1-3)

المبحث الأول

بين يدي السورة الكريمة

المطلب الأول: اسمها وعدد آياتها :

- **اسمها وعدد آياتها ومعناها الإجمالي :**

اسمها : سورة العصر وهي مكية، وعدد آياتها : ثلاث آيات (50).

المعنى الإجمالي :

هذه السورة الصغيرة ذات الآيات الثلاث تمثل منهجاً كاملاً للحياة البشرية، كما يريدها الإسلام، وتبرز معالم التصور الإيماني بحقيقته الكبيرة الشاملة في أوضح وأدق صورة، إنها تضع الدستور الإسلامي كله في كلمات قصار، وتصف الأمة المسلمة :

حقيقتها ووظيفتها في آية واحدة هي الآية الثالثة من السورة... وهذا هو الإعجاز الذي لا يقدر عليه إلا الله...

والحقيقة الضخمة التي تقررها هذه السورة بمجموعها هي:

أنه على امتداد الزمان في جميع الأعصار، وامتداد الإنسان في جميع الأدهار، ليس هناك إلا منهجاً واحداً رابحاً، وطريقاً واحداً ناج، هو ذلك المنهج الذي لترسم السورة حدوده وهو هذا الطريق الذي تصف السورة معالمه وكل ما وراء ذلك ضياع وخسارة..(51).

المطلب الثاني: مناسبة السورة بما قبلها وما بعدها:

- **مناسبة السورة بما قبلها:**

السورة التي قبلها : هي سورة التكاثر...

لما كانت لذة هذه الدنيا الظاهرة التنعم بما فيها من المتاع وكان الإنسان مسؤولا بما شهد به، ختم التكاثر عن ذلك النعيم متوعداً برؤية الجحيم، فكان ساكن هذه الدار على

---

(50) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج (8)، ص 479، تحقيق: سامي سلامة.
(51) سيّد قطب: في ظلال القرآن، ج(6)، ص 3964.

غاية الخطر، فكان نعيمه في غاية الكدر، قال دالاً على ذلك بأن اكثر الناس هالك مؤكداً بالقسم(52).

- **مناسبة السورة لما بعدها :**

السورة التي بعدها : هي سورة الهُمزة...

لما بين الناجين من قسمي التكاثر، وختم بالصبر، حصل التشوق إلى أوصاف الهالكين، فقال لأضلهم وأشقاهم الذي صبر على أذاه في غاية الشدة؛ ليكون ما أعدّ له من العذاب مسلاة للصابر(53).

---

(52) البقاعي: نظم الدّرر، ج (22)، ص 236.
(53) المصدر السابق نفسه: ج (2)، ص 234.

المبحث الثاني
وقفات فنيّة وبيانيّة مع السورة الكريمة

المطلب الأول: الوقفة الأولى مع الآية الأولى:

قال تعالى ﴿والعصر (1)﴾:

بدأ الله تعالى هذه السورة الكريمة بالقسم، فالله تعالى يُقسم بالعصر، وقد ذكر العلماء أقوالاً في معنى "العصر"، وهي :

1- أنه الدهر.

2- أنه أحد طرفي النهار.

3- أنه أراد صلاة العصر.

4- أنه قسم بزمان الرسول ﷺ(54).

وهذا من قبيل اختلاف التنوع؛ فالعصر: يرمز إلى مفردات ومعان شتى، فهو الدهر وهو اليوم أو الليلة أو آخر النهار إلى الشفق -أي احمرار الشمس-، وشاع استعماله مع وقت من أوقات الصلاة، بل سمّي بها أو سمّيت به.. "والعصر" إذا وردت مع الصلاة فهي مؤنثة، وإن جاءت منفردة، أي بدون ذكر الصلاة فهي تذكر وتؤنّث(55).

وأساس معنى "العصر": هو ضَغْطُ شيء حتى يتحلّب. تقول: عصرتُ الثوب، وذلك عندما تضغط عليه ليخرج منه الماء(56). ولهذا سمّى الله السُّحُب معصرات، كما ورد في قوله تعالى: ﴿وأنزلنا من المعصرات ماءً ثجّاجا﴾(57). وكأن هذه السحب المحملة بالماء تُعصرُ عصراً، ويُضغطُ عليها، فيخرج الماء منها، وينزل ثجاجاً مصبُوباً. وإذا كان عصر الشيء هو الضغط عليه لإخراج ما فيه، فإن زمان الناس وعمرهم عصر؛ لأنه يجب عليهم أن يعصروه عصراً، ويضغطوا عليه ضغطاً، ليحسنوا الاستفادة منه، واستخراج منافعه وفوائده.

---

(54) أورد هذه الأقوال مع ادلتها: الإمام الرازي في تفسيره الكبير. ص 279-277. اقتصرت هنا على ذكر الأقوال فقط، نظراً لعدم اتساع المقام.

(55) بلاغة القرآن: ص 699.

(56) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة. ص 782.

(57) سورة النبأ: (14).

وعمرُ الفرد هو عصرُه الخاصُّ به، الذي يجب عليه أن يعصره، ويحسن استغلاله ومعايشته.

المطلب الثاني: الوقفة الثانية مع الآية الثانية :

قال تعالى: ﴿إنّ الإنسان لفي خسر (2) ﴾:-

هذا جواب القسم. والإنسان: في معنى الجمع؛ لأنه اسم "جنس" أو يراد به الناس.. ولهذا استثني منه مستثنى جمع في الآية الكريمة التالية ﴿إلا الذين آمنوا﴾ ولو كان "الإنسان" واحداً هنا لم يجز الاستثناء منه. وأصل "الإنسان": انْسِيان، وهو لفظ يقع للذكر والأنثى من بني آدم، كما يقال: بعير، فيقع على الناقة والجمل(58).

وتعريف "الإنسان" تعريف الجنس مراد به الاستغراق، وهو استغراق عرفي؛ لأنه يستغرق أفراد النوع الإنساني الموجودين في زمن نزول الآية وهو زمن ظهور الإسلام.

ومخصوص بالناس الذين بلغتهم الدعوة في بلاد العالم على تفاوتها، ولما استُثني منه ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ بقي حكمه متحققاً في غير المؤمنين.

والخُسر: مصدر، وهو ضد الربح في التجارة، استعير هنا لسوء العاقبة لمن يظن لنفسه عاقبة حسنة، وتلك هي العاقبة الدائمة وهي عاقبة الإنسان في آخرته من نعيم أو عذاب.

والظرفية في قوله (لفي خسر): مجازية، شبّهت ملازمة الخسر بإحاطة الظرف بالمظروف، فكانت أبلغ من أن يقال: إن الإنسان لخاسر.

ومجيء هذا الخبر على العموم مع تأكيده بالقسم وحرف التوكيد في جوابه، يفيد التهويل والإنذار بالحالة المحيطة بمعظم الناس..

وتنكير "خسر": يجوز أن يكون للتنويع، ويجوز أن يكون مفيداً للتعظيم والتعميم في مقام التهويل وفي سياق القسم.

والمعنى: إن الناس لفي خسران عظيم وهم المشركون(59).

---

(58) بلاغة القرآن: ص700.

(59) ابن عاشور: التحرير والتنوير. ص 530 -532.

"وذكر الإمام الرازي بالنسبة لقوله تعالى في سورة التين ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين﴾ فهناك(60) يدل على أن الابتداء من الكمال والانتهاء إلى النقصان، وهنا(61) يدل على أن الابتداء من النقصان والانتهاء إلى الكمال، فكيف وجه الجمع ؟ قلنا: المذكور في سورة التين أحوال البدن، وههنا أحوال النفس، فلا تعارض بين القولين "(62).

المطلب الثالث: الوقفة الثالثة مع الآية الثالثه :

قال تعالى :﴿إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصو بالصبر (3)﴾ :

نلاحظ في هذه الآية الكريمة بأنها ذكرت أربع صفات للرابحين الفائزين، الذين أحسنوا عَصْرَ أعمارهم وأوقاتهم، وهي صفات مقصودة، وترتيبها في السورة مقصود أيضا.

فبدأت بالإيمان؛ لأنه الأساس المحرك الدافع، الباعث على عصر العمر، وهو الزاد الذي يُزَوِّدُ المؤمن بما يحتاجه لعصر العمر، والسير في الطريق، كما أنه هو الشرط لقبول الأعمال الصالحة عند الله. ثم ذكر بعد الإيمان: عمل الصالحات؛ لأنها ثمرة له. ثم ذكر الصفة الثالثة: وهي أنهم يتواصون بالحق، والحق: هو الإسلام المتمثل في القرآن والسنة وفهم سلف الأمة، والتواصي بالحق لا يكون الا بعد العلم بالحق، ومعرفة أنه حق، وبعد ذلك جاء بالصفة الرابعة: وهي تواصيهم بالصبر، وهذه خطوة مبنية على ما قبلها، فبعدَ العلم بالحق وممارسته وتذكره والتواصي به، يأتي التواصي بالصبر عليه، وهذا التواصي: هو عبارة عن تعاهد بين المؤمنين بالالتزام بالحق والثبات عليه، والصبر على تكاليفه ومشقاته .

وقد اشتمل قوله تعالى ﴿وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾: على إقامة المصالح الدينية كلها، فالعقائد الإسلامية والأخلاق الدينية مندرجة في الحق، والأعمال الصالحة وتجنب السيئات مندرجة في الصبر(63).

---

(60) أي في سورة التين.

(61) أي في سورة العصر.

(62) الرازي: التفسير الكبير: ص 280.

(63) ابن عاشور: التحرير والتنوير. ص 532، ص533.

ويذكر الإمام القرطبي: بأن قوله تعالى ﴿إلا الذين آمنوا﴾ استثناء من الإنسان، إذ هو بمعنى الناس على الصحيح. وقوله تعالى ﴿وعملوا الصالحات﴾:

أي أدّوا الفرائض المفترضة عليهم، وهم أصحاب رسول الله ﷺ قال أبي بن كعب: قرأت على رسول الله "والعصر" ثم قلت: ما تفسيرها يا نبي الله؟ قال: "والعصر: قسم من الله، أقسم ربكم بآخر النهار. إن الإنسان لفي خسر: أبو جهل. إلا الذين آمنوا: أبو بكر. وعملوا الصالحات: عمر. وتواصوا بالحق: عثمان. وتواصوا بالصبر: علي "رضي الله عنهم أجمعين".

وهكذا خطب ابن عباس على المنبر موقوفاً عليه(64).

(64) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. ص123.

المبحث الثالث

سر الإعجاز في السورة الكريمة

المطلب الأول: من حيث الألفاظ والمعاني والتراكيب (النظم):

نلاحظ في هذه السورة الكريمة: اختيار أرقى الكلمات، لكي يتم التعبير عن أخلب المعاني، في حُلّة رائعة من التركيب.

فالألفاظ -كما نرى-: سلسة وسهلة المخارج، ومعدودة .

والمعاني: واضحة وبيِّنة وقريبة للفهم على أسرع وجه، وهي واسعة مترامية الأطراف، قلّة الألفاظ التي عبرت عن المعاني .

وجاءت هذه الألفاظ بما تحمله من معاني بأسلوب جميل، يظهر من خلاله بحق الإعجاز الرباني لهذه السورة الكريمة.. فجاء الترتيب لآيات السورة بأبهى صورة، حيث لا نستطيع أن نؤخّر شيئاً منها أو نقدمه، ولا حتى الحذف، فكل كلمة لها موضعها الذي لا تتزحزح عنه.

فنرى التناسق والتكامل في صفات المؤمنين الفائزين ،، فالإيمان: أساسٌ وشرطٌ وزادٌ لعصر العمر وحسن استغلاله، والصالحات: هي ناتج عصر العمر، وثمرة الإيمان الباعث المحرك.

والتواصي بالحق: تعلُّمه ومدارستُه ومذاكرته، والتناصح حوله. والتواصي بالصبر: تعاهد بين المؤمنين ومشارطة لاستمرار الارتقاء والتسامي في عالم الفضائل، واستمرار الثبات على الحق، واستمرار مواجهة الباطل وجنوده .

فكما نرى بأن هذا (النظم المعجز) جاء ليؤدي غرضه العظيم الذي لا ينتهي في بيان وتثبيت مفهوم تحدي كقاعدة في كل زمان ومكان، وهو أن الذين يتصفون بهذه الصفات الأربعة هم الفائزون الرابحون، وغيرهم هم الخاسرون، الذين يخسرون عصرهم وعمرهم، فيخسرون كل شيء.

فسبحان منزل القرآن.

المطلب الثاني: من حيث دلائل الإعجاز القرآني :

من خلال ما سبق ذكره: تمّ تقرير بعض الحقائق المتعلقة بالإعجاز، على ضوء المنهجية العلمية -نظرياً-، وفيما يلي هنا: تطبيقاً عملياً لتلك الحقائق..

بداية علمنا بأن موضوع التحدي هو البيان القرآني؛ لأن الذي طُلب من الكفار أن يأتوا بمثله هو البيان القرآني والمثلية في التحدي هي مثلية بيانية..

وهذا الإعجاز البياني يرجع في لبه وجوهره إلى (النظم)، وهذا الوجه بحدّه دون أي شك متمثلاً في هذه السورة الكريمة -فالإعجاز بمعناه العام والخاص يتجسد فيها-، وقد عجز العرب عن الإتيان بمثلها. وهذا الوجه نستطيع إنزاله على كل سور القرآن الكريم .

ثم إذا انتقلنا إلى وجوه الإعجاز الأخرى: نجد منها ما يتحقق في هذه السورة، ومنها لا يتحقق، وما يتحقق فيها نجعله دليلاً على مصدر القرآن الرباني وصحة نبوة الرسول ﷺ ، فالذي نجده فيها ما يلي :-

1- إخبار بالغيب، فالله عز وجل يذكر فيها واقع البشرية عبر التاريخ إلى قيام الساعة.

2- ونجد في أسلوبها نقض لعادة العرب في البيان، فهي لا شعر ولا نثر، فهي بهذا معجزة مستقلة.

3- ونجد تأثيرها العظيم في النفس.

4- ونجد بأن كل آية منها تمثل مجموعة من الحِكم السامية.

5- ونجد أنها احتوت على كل علوم القرآن- كما قال الإمام الشافعي - وقد سبق ذكره .

6- ونجد مماثلتها في البلاغة كأي سورة أخرى صغيرة كانت أو كبيرة.

7- ونجد المضمون والشكل بنظم خلاب.

8- ونجدها تخاطب كل الناس في كل زمان ومكان، فهي بهذا تحدث قاعدة أصلية عبر التاريخ.

9- ونجد في تلاوتها حلاوة لا تعدلها حلاوة.

10- ونجد فيها موسيقى قرآنية رائعة وذلك في نهاية كل آية منها بحرف (الراء)، وتناغم الأحرف فيها بينها ومراعاة المخارج.

11- ونجد تصويرها وإبداعها في توضيح الصورة.

12- ونجد مخاطبتها الأصيلة للحس الروحي.

13- ونجد قوة وأصالة الطابع الربّاني فيها، مع التنسيق وقوة الأداء وكبرياء الربوبية وجلالها .

14- ونجد تمثل الكمال التشريعي فيها (الإعجاز التشريعي).

15- ونجد أنها تخاطب قوى النفس جميعها .

16- ونجد بأنها تضع منهجاً متكاملاً للحياة، تخاطب فيه الروح الإنساني السامي.

17- ونرى وحدتها الموضوعية المتوازنة التي فيها وحدة الهدف الذي يرتقي بالأمة الإسلامية إلى المعالي، فكل آية منها تسلم للأخرى بسلاسة ومرونة .

وهذا جميعه دليل كاف -لا يعدله دليل- على المصدرية الربانية للقران وعلى ثبوت نبوة محمد ﷺ.

المطلب الثالث: من حيث أثرها في واقعنا المُعاصر المُعاش:

إذا تمسّكت الأمة بمعالم هذه السورة المعجزة، فبدون شك ستحقق غاياتها وأمانيها، وكلما تركت هذه التوصيات، تراجعت وتخاذلت، - كما هو الحال في عصرنا هذا -.

قال الإمام الألوسي في سورة العصر: وهي على قصرها جمعت من العلوم ما جمعت، فقد رُوي عن الشافعي عليه الرحمة أنه قال: لو لم ينزل غير هذه السورة لكفت الناس؛ لأنها شملت جميع علوم القرآن.

وأخرج الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب عن أبي حذيفة - وكانت له صحبة - قال: كان الرجلان من أصحاب رسول الله ﷺ إذا التقيا لم يفترقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر، ثم يسلم أحدهما على الآخر(65).

فهذه السورة الكريمة -كما نرى- تمثلت في حياة الصحابة، نظرياً وتطبيقياً، وحسياً ومعنوياً، فسادت خلافتهم الراشدة، وكانوا مثلاً حياً على جيل إسلامي بمعنى الكلمة، فاستحقوا أن يكونوا قدوة مثلى لمن بعدهم؛ لأنهم طبقوا المنهج المتكامل للحياة على ضوء هذه السورة .

(65) الإمام الألوسي: روح المعاني. ج 30، ص 369.

ولذلك يقول الأستاذ سيد قطب: "في هذه السورة الصغيرة ذات الآيات الثلاث يتمثل منهج كامل للحياة البشرية كما يريده الإسلام، وتبرز معالم التصور الإيماني بحقيقته الكبيرة الشاملة في أوضح وأدق صورة، إنها تضع الدستور الإسلامي كله في كلمات قصار.

وتصف الأمة المسلمة: حقيقتها ووظيفتها في آية واحدة هي الآية الثالثة من السورة. وهذا هو الإعجاز الذي لا يقدر عليه إلا الله(66).

فتطبيق هذه السورة المعجزة في واقعنا المعاش؛ يُكوّن شأن حياة المؤمنين قائماً على شيوع التآمر فيما بينهم. وذلك يقتضي اتصاف المؤمنين بإقامة الحق وصبرهم على المكاره في مصالح الإسلام وأمته لما يقتضيه عرف الناس من أن أحداً لا يوصي غيره بملازمة أمر إلا وهو يرى ذلك الأمر حليفاً بالملازمة إذ قلّ أن يُقدم أحد على أمر بحق هو لا يفعله أو أمر بصبر وهو ذو جزع(67).

-تمّ بحمد الله -

---

(66) الأستاذ سيد قطب: في ظلال القرآن. المجلد (6)، ص 3964 .
(67) الأستاذ ابن عاشور: التحرير والتنوير. ج30، ص 534.

النموذج الثالث

سورة الكوثر ((دراسة لُغوية وبيانية))

مدخل تمهيدي ..

لقد كنت شغوفاً في دراسة هذه السورة منذ فترة طويلة، إلى أن أراد الله تعالى، والذي دعاني إلى اختيارها عدّة أمور، أهمها: أنها تعتبر أقصر سورة في القرآن، وبرغم هذا القصر فهي تعتبر مثالاً لتوفر الإعجاز البياني ووجوده، مثلها مثل أي سورة أخرى قصيرة كانت أم كبيرة، ولأنها سورة العطاء، فهي أعظم عطاء من أعظم معطي وهو الله عز وجل.

ولأن هذه السورة أقصر سورة في القرآن اعتنى بها العلماء، فحلّلوها تحليلاً فنياً بيانياً، وبيّنوا أهم ما في آياتها الثلاث من أساليب البيان.

ومن أول من فعل ذلك الإمام جار الله الزمخشري، حيث كتب في ذلك رسالة خاصة وقد اطلع على رسالته الإمام فخر الدين الرازي، فلخّصها في خاتمة كتابه ((نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز))، وجاء بعده الإمام ابن القيم، فاطلع على كلامه، وأورده في كتابه ((الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان))، وقد اقتصر هذا التحليل على جانب اللفتات البلاغية دون النظر إلى دراسة اللغة والإعراب .

وبالنسبة للدراسات المعاصرة - على حدود اطلاعي- فقد كتب بخصوص هذه السورة أستاذي الفاضل (د. صلاح الخالدي)، في كتابه (البيان في إعجاز القرآن). وما فعله هو أنه نقل خلاصة تحليل الإمام ابن القيم فيما يتعلق بالفوائد البلاغية للآيات الثلاث.

وقد أفرد كتاباً خاصاً بهذه السورة الأستاذ عبد المجيد حامد صبح، في كتابه: من فيض سورة الكوثر. وبرغم صغر حجم الكتاب إلا أنه حوى فوائد جمّة، استفدتُ منها في هذا الكتاب .

وكذلك الشيخ محمد متولي الشعراوي "رحمه الله" في كتابه: تفسير سورة الماعون والكوثر والكافرون، وكذلك الاستاذ محمد الشيخ البالياني في كتابه: تفهيم الامة تفسير جزء عم.

ونجد بأن هذا الدراسات اعتنت بالجانب التحليلي الإجمالي أكثر من الجانب البياني، ولا نجد فيها الاعتناء بجانب اللغة والإعراب، وهذا هو المقصود بالدراسة هنا.

وقد يكون هذا البحث المتواضع بذرة في تأليف كتاب أو رسالة موسّعة خاصة بهذه السورة – بمشيئة الله تعالى –.

ومن الله أستمد العون،،

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ(1) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ(2) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (3)﴾

صدق الله العظيم

(سورة الكوثر: 1-3)

المبحث الأول

بين يدي السورة الكريمة

المطلب الأول: اسمها وعدد آياتها وسبب نزولها:

القران الكريم كلام الله تعالى، لكل سورة منه روحها الجاذب ووقعها المؤثر، مما يجذب العقل، ويستولي على القلب ويأسر المشاعر، ولكل حرف منه معنى، ولكل كلمة دلالة، وقد حفظه الله سبحانه لنا، فلم يتغير ولن يتبدل إلى أن تقوم الساعة .

قال تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾(68).

كما أن لكل حرف سر، ولكل كلمة خاصية، وقد يكون هذا السر وتلك الخاصية واضحة، وقد تكون غير واضحة، لا يعلمها إلا الراسخون في العلم، وقد يعجزون عن إدراكها فلا يملكون إلا القول: ﴿آمنّا به كلٌ من عند ربنا﴾(69).

وكلما مضت السنين ظهرت للناس حقائق لم يكونوا ينتبهون إليها، مع أنهم يقرؤون القرآن ليلاً نهاراً، ويتدبره العباد ويتفكر فيه العلماء تلك إرادة الله، يكشف لمن أراد ما يريد، ومتى يريد، وكيفما يريد.

وأمامنا الآن سورة عظيمة من سور القران..

اسمها :-

هو (سورة الكوثر) وقد سميت بهذا الاسم لافتتاحها بقول الله تعالى مخاطباً نبيه ﷺ : ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾، ولها اسم آخر مذكور في بعض كتب التفسير وهو: (سورة النحر)(70).

وسميت به لأنه مذكور في الآية الثانية منها: ﴿فصل لربك وانحر﴾ والحقيقة التي نخرج بها من جمع هذين الاسمين هي: أن الله عز وجل منح رسوله ﷺ الخير الكثير الدائم، ولذلك عليه أن ينحر الإبل شكراً لله تعالى على نعمه، ونحر الإبل هو غاية الكرم عند العرب.

---

(68) سورة الحجر: (9).

(69) سورة آل عمران: (7).

(70) انظر تفسير الإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم البقاعي: نظم الدرر في تناسب الايات والسور. ج8 ، ص547. وانظر ايضاً تفسير الإمام أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. ج30، ص666.

عدد آياتها :

يبلغ عدد آياتها : ثلاث آيات بلا خلاف، وصرح العلماء على أنه لا يوجد في القرآن سورة أيها أقل من ذلك، فهي أقصر سور القرآن.

"وهي مكية في قول ابن عباس والكلبي ومقاتل. ومدنية في قول الحسن وعكرمة ومجاهد وقتادة. وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس وابن الزبير وعائشة: أنها نزلت بمكة". وفي أخبار سبب النزول ما يقتضي كلاً من القولين، فقد ذكر الخفاجي أن لبعضهم تأليفاً صحح فيه أنها نزلت مرتين(71).

سبب نزولها :

ورد أن سفهاء قريش من أمثال العاص بن وائل وعقبة بن أبي معيط وأبي لهب وأبي جهل كانوا يتشمتون بموت أولاد النبي الذكور، ابنه القاسم بمكة وإبراهيم بالمدينة، وقالوا: بأنه أبتر، دعوه فإنه سيموت بلا عقب وينتهي أمره.

وكان هذا اللون من الكيد اللئيم الصغير يجد له في البيئة العربية التي تتكاثر بالأبناء صدا ووقعاً، وتجد هذه الوخزة الهابطة من يهش لها من أعداء رسول الله ﷺ وشانئيه، ولعلها أوجعت قلبه الشريف ومسته بالغم أيضا.

ومن ثم نزلت هذه السورة تمسح على قلبه صلى الله عليه وسلم بالروح والندى، وتقرر حقيقة الخير الباقي الممتد الذي اختاره له ربه، وحقيقة الانقطاع والبتر المقدر لأعدائه(72).

وكان أعدائه يعلمون أن حفظ الذكر وحفظ النسل إنما يكون بالأبناء، وجهلوا أن الأنبياء بنوتهم في أتباعهم.

المطلب الثاني: مقصود السورة ومناسبتها مع ما قبلها وما بعدها :-

- **مقصود السورة:**

هذه السورة خالصة لرسول الله ﷺ كسورة الضحى وسورة الشرح وفيها وَعْدٌ وتوجيه ووعيد.

---

(71) تفسير الإمام الالوسي: روح المعاني. ج30، ص 660.
(72) لفته جميلة من الأستاذ سيّد قطب: في ظلال القرآن. المجلد (6)، ص 3987.

1- وَعْدٌ بالخير	2- توجيه إلى طريق الشكر	3- وعيد ببتر أعدائه
﴿إنّا أعطيناك الكوثر﴾	﴿فصلّ لربك وانحر﴾	﴿إنّ شانئك هو الأبتر﴾

وعلى العبد أن يقيّد نعمة الله عليه بالشكر، ولذلك: حضّ الله نبيه على الشكر وجمع الله له في هذه السورة :

الطاعة بالقلب، فقال: لربك.

والطاعة بالبدن، فقال: فصل.

والطاعة بما يملك، فقال: وانحر.

- **مناسبة السورة مع ما قبلها وما بعدها :**

هذه السورة هي كالمقابلة التي قبلها -سورة الماعون- لأن السابقة وصف الله تعالى فيها المنافق بأربعة أمور: البخل وترك الصلاة والرياء ومنع الزكاة، فذكر عز وجل في مقابلة البخل ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ أي الخير الكثير، وفي مقابلة ترك الصلاة (فَصَلّ) أي دُمْ على الصلاة، وفي مقابلة الرياء (لربك) أي لرضاه لا للناس، وفي مقابلة منع الماعون (وانحر) وأراد به سبحانه التصدق بلحوم الأضاحي , ولأن سورة الكوثر هي خير عطاء للنبي ﷺ فكأنه قيل: أنت يا خير الخلق غير ملتبس بشيء مما نهت عنه تلك المختتمة بمنع الماعون(73).

وجاءت خاتمة سورة الكوثر بقوله: ﴿إنّ شانئك هو الأبتر﴾؛ لتبين بأنه هناك بتر في الدنيا وبتر في الآخرة، ووصل في الدنيا ووصل في الآخرة، فهناك مبتور وموصول، إذن فهما فريقان، والفريقان لا يمكن أبداً أن يتحد منهجهما في الحياة، لا في تصور العقيدة ولا في منهج التفكير ولا في المبادىء، ولذلك ساق الله عز وجل - سورة الكافرون - بعد هذه السورة، لتعبر عن المعنى الذي نعبر عنه حديثاً في العرف الدبلوماسي، بقطع العلاقات(74).

(73) انظر تفسير الإمام الألوسي: روح المعاني. ج30، ص660. وانظر أيضاً تفسير الإمام البقاعي: نظم الدرر. ج8 ، ص547 .

(74) لفتة جميلة من الداعية محمد متولي الشعراوي: تفسير سورة الماعون، الكوثر، الكافرون. ص 47.

المبحث الثاني

معاني المفردات اللُّغوية الخاصة بالسورة وإعرابها

المطلب الأول: معنى (الكوثر) المذكور في الآية الأولى:

● **قال تعالى: ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾** (آية: 1):

قرأ الحسن وطلحة وابن محيص والزعفراني (أنطيناك) بالنون، وهي على ما قال التبريزي لغة العرب العرباء من أولي قريش، وذكر غيره أنها لغة بني تميم وأهل اليمن، وليست من الإبدال الصناعي في شيء. ومن كلامه صلى الله عليه وسلم "اليد العليا المنطية، واليد السفلى المنطاة".

وكتب عليه الصلاة و السلام لوائل: "انطوا الثبجة": أي الوسط في الصدقة(75).

● **معنى الكوثر :**

في اللغة: فَوْعَل من الكثرة، وهو المفرط في الكثرة. قيل لأعرابية رجع ابنها من السفر: بم آب ابنك؟ قالت: أب بكوثر ،أي بالعدد الكثير(76).

وهو كجوهر (الكثير من كل شيء) , والكوثر: الرجل الخيّر المعطاء، كثير العطاء والخير وهو السخي الجيد. قال الكميت:

وأنت كثير يا ابن مروان طيّبٌ وكان أبوك ابن العقائل كَوْثَرا.

ويقال للغبار إذا سطع وكثر: كوثر (77).

<u>وأما معنى "الكوثر" في هذه الآية</u>: فهو خاص بالنبي ﷺ. وقد ذكر له المفسرون ستة عشر قولاً أو أكثر، ولا يسع المقام في ذكرها هنا.

---

(75) الإمام الالوسي: روح المعاني. ج30، ص66.
(76) انظر تفسير الإمام جار الله أبي القاسم محمود الزمخشري :الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. ج6، ص445. وانظر أيضاً تفسير فخر الدين الرازي: التفسير الكبير. مجلد (11)، ص 313.
(77) السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس. مجلد (3)، حرف الراء فصل الكاف من باب الراء..(كثر).. (الكوثر)، ص517.

والموقف الصحيح للاهتداء إلى مدلول هذا اللفظ القرآني أن نرجع إلى:

استعمال اللفظ في أصل اللغة، وإلى المأثور عن النبي ﷺ. وبالنسبة لاستعمال اللغة: فهو – كما فهمنا –مشتق من الكثرة، فهو دال على الكثرة المبالغ فيها. وبالنسبة للمأثور دلّ على أن معنى "الكوثر": نهر في الجنة. حيث أن النبي ﷺ قال: أتدرون ما الكوثر ؟ إنه نهر وعدنيه ربي عز وجل في الجنة عليه خير كثير(78).

فلم يبينه الرسول ﷺ بالنهر فقط، بل نهر عليه خير كثير، فيكون المعنى: أعطيناك الخير الكثير، الزائد في الكثرة على العادة، ومن هذا الخير الكثير ما ادخرناه لك في الجنة، وهو نهر الكوثر .

فالتفسير المأثور واللغة: تطابقا على أن المعنى: الخير الكثير. وهذا الفهم سبقنا إليه الصحابي ابن عباس رضي الله عنه "فعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال في الكوثر: هو الخير الذي أعطاه الله إيّاه. قال أبو بشر: قلت لسعيد بن جبير: فإن الناس يزعمون انه نهر في الجنة، فقال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إيّاه"(79).

وإذا أراد أحد أن يتتبع هذا الكوثر الذي أعطاه الله لنبيه فهو واجده حيثما نظر أو تصور فمن ذلك:

1- فضل الله عليه بالنبوة والرسالة .

2- فضل الله عليه بإظهار الإسلام.

3- فضل الله بالقرآن الذي أنزله عليه.

4- فضل الله عليه بما حصل على يديه من المعجزات.

5- فضل الله عليه بإجابته لدعوته.

6- نور القلب والحكمة التي آتاه الله إياها.

7- أولاده من أمته إلى يوم القيامة.

8- بقاء ذكره: في الملأ الأعلى الذي يصلي عليه، ويصلي على من يصلي عليه في الأرض حيث يقترن اسمه باسم الله تعالى في الأرض والسماء.

---

(78) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه. كتاب (الصلاة) باب حجة من قال: البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة، 53/400.

(79) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه. كتاب التفسير (4966).

9- سنته الممدة على مدار القرون في أرجاء الأرض.

10- وجوب شرعه، فدينه فريضة لا يخرج عنه إلا خاسر، وشرعه هو الصراط المستقيم، من تركه فإن له معيشة ضنكاً في الدنيا ويحشر يوم القيامة أعمى.

11- وما سوف يعطيه الله في الأخيرة - مما هو فوق علمنا - من المقام المحمود والشفاعة والوسيلة..

12- ومن جملة الكوثر: ما اختصه الله تعالى به من النهر في الجنة الذي طينته المسك وآنيته عدد النجوم.

وهذا النهر هو كوثر من الكوثر. "إنه الكوثر الذي لا نهاية لفيضه ولا حد لمدلوله" ممتد من الدنيا إلى الآخرة .

المطلب الثاني: معاني المفردات المذكورة في الآية الثانية والثالثة :

- **قال تعالى: ﴿فصل لربك وانحر﴾** (آية: 2):

الصلاة: هي الدعاء. وهي واحدة الصلوات المفروضة. وهو اسم يوضع موضع المصدر، يقال: صلّى صلاة، ولا يقال: تصلية.

و(صلّى) على النبي ﷺ، وصلّى العصا بالنار: ليّنها وقوّمها(80) .

وهي صلة ووقاية. تصل الإنسان بربه، وتقي الإنسان من عذاب الله تعالى. وهي جامعة للدعاء والذكر والفكر وقراءة القران وفعل القلب وفعل الأركان. وهي نوع من التدريب على الانضباط والصبر.

الرب: ربّ كل شيء مالكه. وهو اسم من أسماء الله تعالى ولا يقال في غيره إلا بالإضافة. (والرباني): العارف بالله تعالى .(وربّبه): أي ربّاه(81) .

النحر: هو أعلى الصدر، وقيل: هو الصدر نفسه.

وهو موضع القلادة من الصدر وهو المنحر "مذكر" جمع نحور.

نحر البعير ينحره نحراً. أي طعنه في منحره، حيث يبدو الحلقوم. من أعلى الصدر.

---

(80) الإمام محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، باب (الصاد) ص ل أ، ص 154.
(81) المرجع السابق نفسه: باب (الراء) ر ب ب، ص 96.

ويوم النحر: عاشر ذي الحجة الحرام - يوم الأضحى - لأن البدن تنحر فيه ويقال: انتحر الرجل إذا: قتل نفسه(82).

والمقصود بالنحر في هذه الآية: هو نحر البدن (الذبح) وهذا ما دلّنا عليه فعل النبي ﷺ وقوله ومقتضى اللغة والتركيب، فأراد في هذه الآية: جنس الصلاة، وهي الصلوات الخمس المفروضة، وجنس النحر. لأنهم كانوا يصلون لغير الله، وينحرون لغير الله، فأمر أن لا يصلي ولا ينحر إلا لله تعالى(83).

وبهذا المعنى تكون الآية جامعة؛ للعبادة الخاصة: الصلاة، والعبادة العامة: النحر وجامعة للركنين؛ الذاتي: الصلاة. والاجتماعي: الإعطاء.

وجامعة للحقيقتين؛ المعنوية: الصلاة. والمادية: المال.

- **قوله تعالى: ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾** (آية: 3):

- أي مبغضك وعدوك.

- الشانىء: المبغض. والشنوء والشنأ: البغضة.

يقال: شنأت الرجل: أي أبغضته(84).

- البَتْر: بفتح فسكون (القطع).

والأبتر: المقطوع الذَنَب. ومنه الحمار الأبتر الذي لا ذَنَب له. وهو المعدوم. والذي لا عقب له.

وفي الآية: أي المنقطع العقب، وجائز أن يكون هذا المنقطع عنه كل خير.

والأبتر: الخاسر وما لا عروة له.

وهو كل أمر منقطع من الخير أثره.

وفي الحديث: "كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أبتر"، أي أقطع.

وقيل: هو (من لا نسل له)، والأباتر: من يَبْتُر، يبتر رحمه: أي يقطعها.

---

(82) الإمام الزبيدي: تاج العروس مجلد (3)، حرف الراء. فصل النون من باب الراء (نحر). ص 558.
(83) انظر تفسير الإمام الرازي: التفسير الكبير. مجلد(11)، ص 317 -ص 318.
(84) الإمام الزبيدي: تاج العروس. مجلد (1)، حرف الهمزة: فصل الشين من باب الهمزة (شنأ)، ص 81.

والبـتـراء من الخُـطب: مـا لم يذكـر اسم الله فـيـه ولم يصلـى على النبـي ﷺ؛ ولذلك سميت خطبة زياد بالخطبة البتراء(85).

والترتيب في هذه الآية: يدل على انه إنما صار أبتر؛ لأنه كان شانئاً له ومبغضاً .

أي أنه يا مـحـمـد إن (العـاص بن وائل) وأمـثـاله، هـم المنقطعـون العـقب والخيـر لأنهم شانؤوك ومبغضوك.

وهذا البتر: يشمل العقل والقلب واللسان والعمل والوجدان والإنسانية .

المطلب الثالث: إعراب آيات السورة :-

- **قوله تعالى: ﴿إنّا أعطيناك الكوثر﴾** آية (1) :-

إنّا: (إن) حـرف نصب وتوكيـد مشبه بـالفعل و (نا) ضـمـيـر تفـخـيم مبني على السكون في محل نصب اسم (إنّ) وأصله إننا، ولاجتماع ثلاث نونات حذفت واحدة للتخفيف.

أعطيناك: الجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنّ) وهي فعل ماض مبني على السكون لاتصـاله بضمـيـر (نا) و (نا) ضـمـيـر مـتـصل - ضـمـيـر الواحـد المطاع سبحـانه -مبني على السكون في مـحل رفع فـاعل، والكاف ضـمـيـر مـتـصل - ضـمـيـر المخـاطب - وهـو النبي ﷺ مبني على الفتح في محل نصب مفعول به أول.

الكوثر : مفعول به ثاني منصوب وعلامة نصبه الفتحه الظاهرة .

- **قوله تعالى: ﴿فصلّ لربك وانحر﴾** آية (2) :-

فصلِّ : الفاء عاطفة لتسبيب، (صَلّ): فعل أمر مبني على حذف حرف العلة "الياء"، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوباً، تقديره: أنت .

لربّك: جار ومجرور متعلق بـ (صلّ) والكاف ضمير متصل- ضمير المخاطب - مبنى على الفتح في محل جر مضاف إليه.

وانحر: الجـملة الفـعليـة مـعطوفـة بالواو على (صلّ) وتعـرب اعـرابها، وعـلامـة بناء الفعل السكون.

---

(85) المرجع السابق نفسه: مجلد (3)، حرف الراء. فصل الباء من باب الراء (بتر). ص 24.

• قوله تعالى :﴿إنّ شانئك هو الأبتر﴾ آية (3) :-

إنّ :حرف توكيد ونصب مشبه بالفعل .

شانئك: اسم إنّ منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة وهو مضاف، والكاف ضمير متصل مبني على الفتح في محل جر مضاف إليه.

هو: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ .

الأبتر: خبر المبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة. والجملة الاسمية في محل رفع خبر إنّ(86).

الصرف:-

الكوثر: وزنه (فَوْعل) من الكثرة، والعرب تسمى كل شيء كثير العدد والقدر (كوثر).

شانئك: اسم فاعل من شنأ، وزنه (فاعل).

الأبتر: صفة مشبهة من بتر، وزنه (أفعل)(87).

(86) انظر كتاب: بهجت عبد الواحد الشيخلي: بلاغة القران في الإعجاز إعراباً وتفسيراً بإيجاز. المجلد (10) ص 721 وانظر كتاب محمد جعفر الكرباسي: إعراب القران المجلد (8) ص 711.

(87) انظر كتاب محمود صافي: الجدول في إعراب القران وصرفه وبيانه. المجلد (10)، ص 414.

المبحث الثالث

سر الإعجاز في سورة الكوثر

مهما قرأنا وكتبنا عن إعجاز القرآن فسوف يظل في النفس إحساس ينطلق بسر لم تكشف عنه هذه القراءات والكتابات، وإن السر في إعجاز القرآن هو في عجزنا أن ندرك ذلك السر. وهنا نحاول بيان بعض إعجاز سورة الكوثر بمقاييس البشر، مع الإعلان عن العجز عن كشف الغطاء وعن حقيقة الإعجاز.

المطلب الأول: من حيث الألفاظ :

إذا تدبرنا وأمعنا النظر في الألفاظ المستخدمة، نجد بأن كل لفظ أدّى غايته على أتمّ وجه وعلى أحسن حال، ومحال أن يسد مكان لفظ أي لفظ آخر.

فبدأ بلفظ (إنّا): ليدل على الجمع الذي هو للتعظيم، وعند الابتداء بهذا اللفظ أعطى قوة وقع على السمع مباشرة. ثم عبّر بلفظ (أعطيناك) وهي صيغة الماضي المفيدة للوقوع.

(واختيار ضمير المخاطب: دلّ على رفع الحجاب بين الله وبين نبيه، ولكن عمي البصائر لا ينظرون، أو ينظرون ولا يبصرون.

وأيضا اختيار كاف الخطاب: دلّ على الكرامة الخاصة بشخص المخاطب وهو النبي ﷺ، لا على صفته ووظيفته. ولو أنه قال: يا أيّها النبي إنّا أعطيناك، أو يا أيها الرسول، لكان متضمناً تعليل الإعطاء بالنبوة أو الرسالة؛ لأن تعليق الحكم بالمشتق يؤذن بعليّة الاشتقاق .

أما ما هنا (أعطيناك) فهو اختيار لذاته، واختيار لفظ (الكوثر) تضمن مبالغتين:

الأولى: دلالة اللفظ. وهو لم يتكرر في القرآن الكريم.

الثانية: دلالة استعماله، حيث هو صفة، والأصل: أعطيناك الشيء الكوثر. فحذف الموصوف وأبقى الصفة. دلالة على استقرار الصفة بذاتها، ثم في الحذف من توسع الذهن في الإدراك للمحذوف، ما ليس في ذكره، وفي قوله (لربّك) التفات من المتكلم عن ضمير العظمة إلى خصوص الرب، وهذا من محاسن الكلام، وخصّ (الرب) لأنه المناسب للرد على زعمهم، فهو الذي يدبر أمره، وما كان ليتركه، وقد تولّى تربيته منذ صغره، وفي ذكر شانئيه بالصفة لا بالاسم:

﴿إنّ شانئك هو الأبتر﴾ إعراض عن الشانىء وتحقير له بصفته، وتعليل للحكم عليه بأنه هو الأبتر. وفي إضافة (شانىء) إلى ضميره وعد بان كل من يبغضه هو المبتور أبدا)(89).

المطلب الثاني: من حيث المعاني :

قالوا في تعريف بلاغة الكلام: هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وهي الإيجاز مع الإفهام، وهي الكلام الذي قلّت ألفاظه وكثُرت معانيه، وهذا يساعدنا على معرفة البلاغة في معاني السورة .

فقد زعم الكافرون أن محمداً أبتر، ينقطع عقبه وخبره بموته، فردّت السورة هذا الزعم، ودلّت على ذلك العطاء البالغ، الذي لم ينله غيره، وأنه موصول الخير في الدنيا والآخرة .

إذن فهناك منعم وهناك نعمة، المنعم هو الله فلا بد من شكرالله، ويكون هذا الشكر بالصلاة، والمعطى خيرٌ كثير، فيكيف يؤدّى حق الخير الكثير ؟

يكون ذلك بالإنعام على خلق الله بالخير، إذن: (فصل لربك وانحر)

وجاءت الآية الأخيرة: ﴿إنّ شانئك هو الأبتر﴾

متضمنة في معناها: "تعديل معايير البشر في تقييم الأشياء وفي تقديرها، يريد الحق أن يلفتنا إلى المقاييس الصحيحة وهي أن يكون الإنسان لا مذكور الذات والدم والنسب واللحم، وإنما يكون مذكور الأثر، ومن حيث هذه فإن الرسول ﷺ لا يكون أبتر، لماذا؟ لأنه موصول بعد أن يموت بما يوجد على السنة تابعيه، وفي قلوب تابعيه. وفي الأذان للصلاة.. وحيثما ذكر اسمه صُلّي عليه، وحينما جاء حكم من الأحكام قلنا: قال فيه رسول الله ﷺ، فإنسان هذا أثره بعد موته، لا يمكن أن يكون أبتر"(90).

"وفي هذه السورة إشارة إلى أن من أدّى عبادته البدنية والمالية وتوجّه إلى الله تعالى بكليّته وتوكل عليه يكون مبغضه أبتراً خاسراً لا بركة فيه ويبقى هو غانماً وذا عافية حسنة" (91).

---

(89) انظر كتاب عبد المجيد حامد صبح: من فيض سورة الكوثر. (ص-23ص25)، (ص35، ص54). (باختصار وتصرف).

(90) محمد متولي الشعراوي: تفسير سورة الكوثر. ص40.

(91) محمد طه البالياني: تفهيم الأمة تفسير جزء عم. ص 273.

فهذه السورة الكريمة تضمنت من التشريع ما يُجمل خلاصة الفكرة الإسلامية، وعلى قصر آياتها الثلاث دلّت ألفاظها القليلة على معان لو عبّر عنها بألفاظها الموضوعة لها بطريق البسط لملأت الصحائف والأجلاد.

المطلب الثالث: من حيث التراكيب :

بعد أن اتضح لنا شيئاً يسيراً من سر الألفاظ والمعاني التي حوتها السورة نأتي هنا للحديث عن التراكيب الرائعة التي استخدمتها السورة.

- فعند التأمل نرى: ترتيب المطالبة بـ "الصلاة والنحر" على ما أعطاه الله، وما في ذلك من تقرير فريضة إسلامية هي شكر المنعم سبحانه.

وأن يكون من شكر الله أثر يعم عباده، ولا يقف على حد العلاقة بين الله المنعم والعبد الشاكر.

فخلاصة التراكيب: أنها دلت على العطاء الذي أعطيه النبي ﷺ ما لا غاية لكثرته من خير الدارين الذي لم يعطه أحد غيره، والمعطي ذلك كله هوإله العالمين، فأصاب بذلك أشرف عطاء وأوفره من أكرم معط وأعظم منعم.

فاعبد ربك الذي أعزّك بإعطائه مراغماً لقومك الذين يعبدون غير الله، وانحر لوجهه باسمه إذا نحرت مخالفاً لهم في النحر للأوثان، إن من أبغضك من قومك لمخالفتك لهم هو الأبتر لا أنت(92).

فسبحان من نظم هذه السورة المعجزة بألفاظها القليلة الدالة على معانيها الجزيلة في هذا التركيب الإلهي البديع.

وإن جميع فصحاء العرب والعجم قد عجزوا عن الإتيان بمثل هذه السورة على وجازة ألفاظها مع تحديه إياهم بذلك وحرصهم على بطلان أمره منذ بعث النبي ﷺ إلى يومنا هذا، وهذا غاية الإعجاز.

(92) الإمام جار الله محمود الزمخشري: الكشاف. ج6، ص 447.

المبحث الرابع

وقفات فنيّة وبيانيّة مع السورة الكريمة:-

فبعد تلك الإضاءات السريعة فيما يخص السورة الكريمة، وهي نقطة في بحر، نأتي هنا إلى وقفات فنية وبيانية مع كل آية من آيات السورة على حدة، ونتناول هنا في تأمل كل آية جانبين: الجانب الفني وهو ما قدمته الآية من مشاهد، والجانب البياني وهو ما قدمته الآية من فوائد.

المطلب الأول: الوقفة الأولى مع الآية الأولى:

- **قال تعالى: ﴿إنّا أعطيناك الكوثر﴾**

أولاً: في تأمل هذه الآية - فنياً - نلحظ المشاهد التالية:

1- يشاهد فيها جلال عظمة الله جلّ وعلا.

2- يشاهد فيها عظيم كرم الله على أوليائه.

3- يشاهد فيها الخير كله في يدي الله تعالى.

4- يشاهد فيها ما يفتح من رحمات الله تعالى، لاممسك لها(93).

ثانياً: في تأمل هذه الآية - بيانياً - نلحظ الفوائد التالية:

1- أنه صدّر الجملة بحرف التوكيد (إنّ) الجاري مجرى القسم.

2- أنه جمع ضمير المتكلم (إنّا) وهو يشعر بعظم الربوبية.

3- أنه بنى الفعل الذي هو خبر على المبتدأ ،فدلّ على الخصوصية والتحقيق.

4- أنه أورد الفعل بلفظ المضي دلالة على أن الكوثر لم يتناول عطاء العاجلة دون عطاء الآجلة، وفيه دلالة على حكم الواقع.

5- أتى بصيغة (الكوثر) مصدرة بلام المعرفة لتدل على الشمول والاستغراق والكثرة.

6- اختار الصفة المؤذنة بالكثرة ثم جاء بها مصروفة عن صيغتها.

7- جاء بالكوثر محذوف الموصوف، للعموم والشمول، لكل صور وأنواع الخير الكثير في الدنيا والآخرة.

---

(93) عبد المجيد حامد صبح: من فيض سورة الكوثر. ص 47.

8- أنه يدل على عطية كثيرة مستندة إلى معطٍ كبير، ومتى كان ذلك كانت النعمة عظيمة، وهذا الخير له ولعقبه(94).

المطلب الثاني: الوقفة الثانية مع الآية الثانية:

● **قال تعالى: ﴿فصلّ لربك وانحر﴾:**

أولاً: في تأمل هذه الآية -فنيّاً- نلحظ المشاهد التالية:

1- يشاهد فيها الاشتغال بطاعة الله تعالى.

2- يشاهد فيها إخلاص الطاعة لله تعالى.

3- يشاهد فيها تدبير الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وكفالته إياه.

4- يشاهد فيها قرب النبي ﷺ من الله.

5- يشاهد فيها تخليص النفس من هواها.

6- يشاهد فيها تطهير النفس من الشح والبخل.

7- يشاهد فيها قتل شهوات النفس.

8- يشاهد فيها إعلاء غرائز النفس.

9 -يشاهد فيها تخليص النفس من المادة.

10- يشاهد فيها البقاء في الحق المطلق(95).

وأيضا إذا تأملنا الأمر بالنحر نجد أنه جرى مجرى البشارة بحصول الدولة وزوال الفقر والخوف.

ثانياً: في تأمل هذه الآية - بيانياً- نلحظ الفوائد التالية:

1- فاء التعقيب (فصلّ) تدل على السببية، حيث أفادت جعل النعم الكثيرة سبباً في شكر المنعم.

2- في قوله (لربك) التفات من الخطاب للغيبة، وصرف الكلام من المضمر إلى الاسم الظاهر، وفيه إظهار لكبرياء الله تعالى.

---

(94) انظر كتاب: الإمام فخر الدين الرازي: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز. ص190، ص191.]بتصرف وترتيب.

(95) عبد المجيد حامد صبح: من فيض سورة الكوثر. ص 47، ص48.

3- حذف الجار والمجرور في قوله (وانحر) لدلالة ما ذكر عليه، أي انحر لربك.

4- فعل الأمر في قوله (فصلّ لربك وانحر) تعريض بالكفار، الذين صلاتهم وعبادتهم ونحرهم لغير الله، كما أن فيه تثبيتاً للنبي صلى الله عليه وسلم.

5- الأمر بالصلاة والنحر إشارة إلى العبادتين: البدنية في الصلاة والمالية في النحر.

6- عرّض بالذين لايعبدون الله ربهم، ولا يلتمسون العطاء منه سبحانه.

7- في هذه الآية مراعاة للسجع مع الآية الأولى، بدون تكلف(96).

المطلب الثالث: الوقفة الثالثة مع الآية الثالثة:

- **قال تعالى: ﴿إنّ شانئك هو الابتر﴾**

أولاً: في تأمل هذه الآية - فنياً- نلحظ المشاهد التالية:

1- يشاهد فيها جبروت الله.

2 -يشاهد فيها تصارع الحق والباطل.

3- يشاهد فيها صبح الحق يضيء.

4- يشاهد فيها ظلام الباطل يدبر.

5- يشاهد فيها صدق الوعد: حيث نصر الله عبده وأعزّ جنده، وقطع دابر الكافرين، "وقد صدق الله تعالى: إذ لا يزال إلى يوم القيامة من يدين بدين محمد ويحمل عقيدته ويقدس شريعته، ولكن لم يبق أحد على دين أبي جهل وأبي لهب وعاص بن وائل وغيرهم من صناديد قريش الذين قالوا لمحمد أبتر، وكذلك ترى ملايين الناس يعتزّ بالانتساب إلى الرسول ﷺ.. ولكن لا ترى من يدّعي الانتساب اليوم إلى أبي جهل وغيره من هؤلاء الذين أخفى الله نسلهم سواء أكان من جهة النسب أو من جهة العقيدة..(97).

---

(96) انظر كتاب الإمام ابن القيم الجوزية: الفوائد المشوّق إلى علوم القرآن وعلم البيان. ص-253ص254. (باختصار وترتيب).

(97) لفتة جميلة من محمد طه البالياني: تفهيم الأمة تفسير جزء عمّ. ص271، ص272.

ثانياً: في تأمل هذه الآية - بيانياً - نلحظ الفوائد التاليه:

1- كأن هذه الآية تعليل للأمر بالصلاة والنحر في الآية السابقة، حيث يُقبل على المطلوب منه ويترك شانئيه.

2- وردت هذه الآية، كأنها جملة الاعتراض، مرسلة إرسال الحكمة لخاتمة الأغراض.

3- لم تسم الآية ذلك المبغض الكافر - العاص بن وائل - باسمه إنما ذِكْرُه بصفته؛ ليتناول كل كافر شانىء مبغض كائد لدين الحق.

4- صُدِّرت الآية بحرف (إن) الذي يدل على التوكيد، ويجري مجرى القسم.

5- جعل الخبر (هو الأبتر) معرفة، حتى كأنه هو دون غيره الأبتر الذي لا عَقِبَ له(98).

6- ونلاحظ أيضا المطابقة بين أول السورة وآخرها. بين (الكوثر)، و(الأبتر) فالكوثر الخير الكثير، والأبتر المنقطع عن كل خير.

-تمّ بحمد الله -

---

(98) انظر كتاب: الإمام الرازي: نهاية الإيجاز. ص 192، وأيضا كتاب: الإمام ابن القيم: الفوائد المشوق، ص-254ص255. (بتصرف وترتيب واختصار).

خاتمة ...

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات . . . أمّا بعد :-

فبتوفيق وفضل من الله تعالى تمّ الانتهاء من تأليف هذا الكتاب ، وقبل الختام أودّ ذكر جملة من النتائج تمّ التوصل إليها ، وهي على النحو التالي :-

1- أنّ إعجاز القران : هو عدم قدرة الكافرين على معارضة القرآن ، وقصورهم عن الإتيان بمثله ، رغم توفر مَلكتهم البيانية ، وقيام الداعي على ذلك ، وهو استمرار تحديهم ، وتقرير عجزهم عن ذلك .

2- أنّ القران الكريم معجزة على مر العصور ، وهو بهذا دليل على مصدره الرباني ، ودلّت هذه المعجزة على صحة النبوة الشريفة الخالدة .

3- أنّ البحث في الإعجاز القرآني : لا بدّ أن يكون عن شيء موجود في كل سورة ، ونجد الظاهرة العامة هي ((البيان)) ؛ لأنه به ينتظم القران كله ، سورة سورة على اختلافها طولاً وقصراً .

4- أنّ الأوجه التي تواضع عليها العلماء في شأن الإعجاز : متداخلة فيما بينها ، وما يُقبل منها يدخل في دلائل مصدرية القرآن الربانية . . . والسر في إعجاز القرآن هو في عجزنا عن إدراك ذلك السر .

5- الصبغة الإلهية الربّانية هي التي تشكل الطابع الإعجازي للقرآن الكريم .

6- أنّ الاسم الذي يكون شائعاً عاماً يسمّى (نكرة) ولكن إذا تعيّن وتحدّد أصبح (معرفة) .

7- أنّ أبرز شيء في إعجاز القرآن هو ما يظهر في فصاحته وبلاغته وبيانه .

8- أن تعريف الألفاظ وتنكيرها في البيان القرآني مقصود وليس صدفةً أو عبثاً .

9- أنّ البيان القرآني استعمل - التعريف والتنكير - في وجوه لا مجال لحصرها من حيث عددها وتنوعها.

10- أنّ لكل من التعريف والتنكير ميّزة في الاستعمال ليست في الآخر.

11- أنّه إذا كان الإسمان المكرران معرفتين: فالاسم الثاني هو الاسم الأول - غالباً-.

12- أنّه إذا كان الإسمان المكرران نكرتين: فالاسم الثاني غير الاسم الأول -غالباً-.

13- لم يذكر لفظ (الحيوان) المعرّف في القرآن إلا مرة واحدة وصفاً للحياة الأبدية في الدار الآخرة.

14- أنّ سورة العصر رغم قصرها، فهي تعتبر مثالاً حيّاً لتوفر إعجاز القرآن الكريم، مثلها مثل أي سورة كريمة، ويظهر ذلك في نظمها المُحكم من لفظ خلاّب ومعنى مفهوم وأسلوب موزون، فسبحان منزل القرآن.

15- أنّ الحقائق التي سجّلتها سورة العصر تعتبر قاعدة أصيلة، على المسلمين تطبيقها في كل عصر وزمن، لترتقي بهم إلى معالي الأمور؛ ولذلك يستوجب علينا الامتثال بها في واقعنا المُعاصر المُعاش؛ لكي نسترد ما سلب منّا من عزٍّ ومجدٍ وسلطان.

16- أنّ سورة الكوثر حوت من الألفاظ البديعة الرائعة التي اقتضت بها أن تكون مبهجة، والمعاني المنيعة الفائقة التي اقتضت بها أن تكون معجزة فهي على وجازتها جمعت فنون البلاغة والبيان، فسبحان منزل القران!!.

17- الكوثر: هو الخير الكثير، الزائد في الكثرة على العادة، فلا نهاية لفيضه ولا حد لمدلوله. ولم يذكر في القران إلا في هذه السورة.

18- من جملة الكوثر: ما اختصّ الله تعالى به نبيه محمد صلى الله عليه وسلم من النهر الذي طينته المسك وآنيته عدد من النجوم، فهذا النهر هو كوثر من الكوثر.

19- جمع الله تعالى في سورة الكوثر : الطاعة بالبدن، فقال : (فصلّ)، والطاعة بالقلب، فقال : (لربك) والطاعة بالمُلك، فقال : (وانحر).

20- في سورة الكوثر إشارة إلى أنّ من أدّى عبادته البدنية والمالية وتوجّه إلى الله تعالى بكليّته وتوكّل عليه يكون مبغضه أبتراً خاسراً لا بركه فيه، ويبقى هو غانماً وذا عاقبة حسنة.

وختاماً :

إن تجد عيباً فسُدَّ الخللا

جلّ من لا عيب فيه وعلا

هذا آخر ما يسّر اللّه كتابته، وآخر دعوانا أن الحمد للّه ربّ العالمين.

قائمة المراجع..

1- ابن عقيل : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك . تحقيق : محمود مصطفى حلاوي . دار إحياء التراث العربي : بيروت . ط 1، 1416هـ - 1996م .

2- ابن فارس : الإمام أحمد بن زكريا : مقاييس اللغة . تحقيق : شهاب الدين أبو عمرو . دار الفكر : بيروت . ط1، - 1994م .

3- ابن القيّم : الإمام أبي عبدالله محمد بن أبي بكر الجوزيّة : الفوائد المشوّق إلى علوم القرآن وعلم المعاني , دار الكتب العلمية : بيروت . ط1، 1982م .

4- ابن منظور : لسان العرب . مؤسسة التاريخ العربي . دار إحياء التراث العربي : بيروت . ط3، 1413هـ - 1993م .

5- الأصفهاني : الإمام الراغب : مفردات ألفاظ القرآن . تحقيق : صفوان داودي . دار القلم : دمشق . ط1، 1992م .

6- الألوسي : الإمام أبي الفضل شهاب الدين محمود : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني . تحقيق : محمد الأمد وعمر عبد السلام . دار إحياء التراث العربي : بيروت . ط 1، 1421هـ - 2000م .

7- الباقلاّني : إعجاز القرآن . إعداد : ممدوح حسن محمد . دار الأمين : القاهرة . ط 1، 1414هـ -1993م .

8- البالياني : محمد الشيخ طه : تفهيم الأمة تفسير جزء عمّ . طباعة اللجنة الوطنية في وزارة الأوقاف . ط1، 1405هـ - 1985م .

9- البقاعي : الإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور . دار الكتب العلمية : بيروت . ط 1، 1415هـ - 1995م .

10- بنت الشاطىء : د. عائشة عبد الرحمن : الإعجاز البياني للقرآن ومسائل نافع بن الأزرق . دار المعرفة ، مطبعة المعارف : مصر . ط1، (بدون تاريخ) .

11- الجرجاني : الإمام عبد القاهر : دلائل الإعجاز في علم المعاني . المكتبة العصرية : بيروت . ط 1، 1421هـ - 2000م .

12- الحمصي : نعيم : فكرة إعجاز القرآن - منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر - مع نقد وتعليق . مؤسسة الرسالة : بيروت . ط2، 1400هـ -1980م .

13- الخالدي : د . صلاح عبد الفتاح : إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني . دار عمار : عمّان . ط1 ، 1421هـ - 2000م .

14- الخالدي : د . صلاح عبد الفتاح : في البيان في إعجاز القرآن . دار عمّار : عمّان . ط1 ، 1989م .

15- درّاز : د . محمد عبدالله : النبأ العظيم . القاهرة . ط 1 ، 1969م .

16- الرازي ، الإمام فخر الدين محمد بن عمر : التفسير الكبير . إعداد : مكتب تحقيق التراث العربي : بيروت . ط2 ، 1417هـ - 1997م .

17- الرازي : الإمام فخر الدين محمد بن عمر : مختار الصحاح . إخراج دائرة المعاجم في مكتبة لبنان . ط1 ، 1988م .

18- الرازي : الإمام فخر الدين محمد بن عمر : نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز . تحقيق : د . ابراهيم السامرائي و د . محمد بركات حمدي . دار الفكر : عمّان . ط1 ، 1985م .

19- الرافعي : مصطفى صادق : إعجاز القرآن والبلاغة النبوية . دار الكتاب العربي : بيروت . ط9 ، 1393هـ - 1973م .

20- الرماني والخطابي والجرجاني : ثلاث رسائل في إعجاز القرآن . تحقيق : محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام . دار المعارف : القاهرة . ط1 ، 1968م .

21- الزبيدي : الإمام محمد السيد مرتضه الحسيني : تاج العروس من جواهر القاموس . دار ليبيا للنشر : بنغازي ، (بدون تاريخ) .

22- الزركشي - الإمام بدر الدين محمد بن عبدالله : البرهان في علوم القرآن . تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم . دار إحياء الكتب العربية . ط1 ، 1376هـ - 1957م .

23- زعير : د . محمد يسري : أسرار النحو في ضوء أساليب القرآن . المكتبة العامة لأمانة عمّان . ط 2 ، (بدون تاريخ) .

24- الزمخشري : الإمام جار الله محمد بن عمر : الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل . ضبط : مصطفى حسين أحمد . دار الكتاب العربي : ط 1 ، 1987م .

25- الزملكاني : الإمام كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم : البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن . تحقيق : د . خديجة الحديثي ود . احمد مطلوب . مطبعة العاني : بغداد . ط1 ، 1394هـ - 1974م .

26- السامرائي : د. فاضل صالح : التعبير القرآني . دار عمّار : عمّان . ط1، 1418هـ - 1998م .
27- سيّد : الشهيد الأستاذ سيّد قطب : في ظلال القرآن . دار الشروق : بيروت . ط4، 1402هـ- 1982م .
28- الشعراوي : محمد متولي : تفسير سورة الماعون والكوثر والكافرون . دار بو سلامة للطباعة : تونس . ط 3، 1983م .
29- الشيخلي : بهجت عبد الواحد : بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز إعراباً وتفسيراً بإيجاز . مكتبة دنديس : عمّان - الخليل . ط 1 ، 1422هـ -2001م .
30- صافي : محمود : الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه . دار الرشيد : دمشق ط3، (بدون تاريخ) .
31- صبح : عبد المجيد حامد : من فيض سورة الكوثر . دار الوفاء : المنصورة . ط1، 1404هـ - 1984م .
32- صبري : د. عكرمة سعيد : أضواء على إعجاز القرآن . مركز الأهرام للنشر : القاهرة . ط1، 1418هـ - 1998م .
33- عباس : أ. د فضل حسن : إتقان البرهان في علوم القرآن . دار الفرقان : عمّان . ط1، 1997م .
34- عبّاس : أ. د فضل حسن و سناء فضل عباس : إعجاز القرآن الكريم . دار الفرقان : عمان . ط3، 1420هـ - 1999م .
35- عبد الرحيم : د. عبد الجليل : لغة القرآن الكريم . مكتبة الرسالة : عمّان . ط1، 1401 هـ - 1981م .
36- القطّان : منّاع : مباحث في علوم القرآن . مؤسسة الرسالة : بيروت . ط23، 1419هـ - 1998م .
37- الكرباسي : محمد جعفر الشيخ إبراهيم : إعراب القرآن . دار ومكتبة الهلال : بيروت . ط1، 1422 - 2001م .
38- لاشين : د. عبد الفتاح : صفاء الكلمة في التعبير القرآني . دار المريخ : الرياض . ط 1، 1983م .
39- لاشين : د. عبد الفتاح : المعاني في ضوء أساليب القرآن . دار المعارف : مصر . ط 2، 1977م .
40- مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط . دار عمران . ط 3، (بدون تاريخ) .

المؤلف في سطور :-

سامي "محمد هشام" عبد الشكور حريز .

من مواليد : الخليل ، بتاريخ 12/ 1/ 1980م .

- حصل على شهادة الثانوية العامة من مدارس تحفيظ القرآن الكريم/ السعودية ، عام 1997م .

- حصل على شهادة البكالوريس من جامعة البلقاء التطبيقية/ كلية الدعوة وأصول الدين (عمان) ، عام 2001م .

- حصل على شهادة الماجستير من الجامعة الأردنية/ كلية الدراسات العليا ، تخصص : أصول الدين/ التفسير وعلوم القرآن . عام 2004م .

- لديه خبرة في مجال كتابة البحث العلمي ، وله العديد من البحوث والمقالات العلمية في كثير من المجالات ، ومجموعة من الكتب ، منها المنشور ومنها ما هو تحت الطباعة . ويحضّر حالياً لرسالة الدكتوراه لنيل درجتها ، -إن شاء الله تعالى- في أصول الدين/ علم التفسير وعلوم القرآن .

أبـو سلـوم المعتـــزلي

جميعنا يعلم بأن القرآن الكريم هو معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم الخالدة، وأنه كتاب الهداية والنور للبشر أجمعين، فهو بذلك كنز المعارف ونور العقول .. ولكل سورة منه روحها الجاذب ووقعها المؤثر، مما يجذب العقل، ويستولي على القلب ويأسر المشاعر... ولذلك فعلى الدعاة أن يستمدون من نبعه الهدايات ويقتبسون من نوره مشاعل الحضارات.

فإن أعظم موضوعات إعجاز القرآن وأكثرها أهمية وأعظمها شأناً الحديث عن: الإعجاز البياني في القرآن الكريم. فبالنسبة للدراسات السابقة التي تطرقت لموضوع (الإعجاز البياني) غالبيتها كانت دراسات عن الإعجاز القرآني عموماً وفي ثناياها يذكر المؤلف أو الباحث شيئاً عن الإعجاز البياني، ويقتصر هذا أيضاً على الجانب النظري.

ولهذا فإن طبيعة الكتابة في هذا الموضوع تقتضي تقسيمه إلى جانبين، الجانب النظري: الذي يتم فيه جمع المادة العلمية واستقراءها، والجانب التطبيقي: الذي يتم فيه تطبيق المادة العلمية على النماذج المقصود دراستها.

وقد قسم هذا الكتاب إلى فصلين بعد كتابة تمهيد يتضمن مدخلاً لموضوع الإعجاز البياني، والفصلين هما: الفصل الأول: يتناول فيه الدراسات النظرية، ومقسمة إلى ستة مباحث. أما الفصل الثاني: تناول فيه الدراسات التطبيقية، وهي عبارة عن ثلاثة بحوث كنماذج تطبيقية للإعجاز البياني في القرآن الكريم.

دار الشروق للنشر والتوزيع

المركز الرئيسي - عمان / الأردن - تلفون ٤٦١٨١٩٠-٤٦١٨١٩١-٤٦٢٤٣٢١

فاكس ٤٦١٠٠٦٥ ص.ب ٩٢٦٤٦٣ عمان ١١١١٨ الأردن

فرع الجامعة الأردنية هاتف: ٥٣٥٨٣٥٢

E-mail:shorokjo@nol.com.jo

www.shorok.com

وكلاؤنا في فلسطين

دار الشروق للنشر والتوزيع - رام الله - المنارة - تلفاكس: ٠٢/٢٩٦١٦١٤

دار الشروق للنشر والتوزيع - غزة - الرمال الجنوبي - تلفون: ٠٦/٢٨٤٧٠٠٣

ISBN 9957-00-235-x

0 002005 503609